المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

# إبستمولوجيا الخطاب الشعري
## في قصائد العروبة لأبي الفَضْل الوليد "إلْياس طُعْمة": ( دراسة تداولية) .

**Epistemology of Poetic Discourse in the Poems of Arabism by Abu al-Fadl al-Walid "Elias Tohme": (A Pragmatic Study)**

بقلم الدكتور

## سامح السعيد علي داود داود

مدرس الدراسات الأدبية بقسم اللغة العربية
كلية التربية، جامعة دمنهور ـ جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار سبتمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

# إبستمولوجيا الخطاب الشعري في قصائد العروبة لأبي الفَضْل الوليد "إلْياس طُعْمِة": ( دراسة تداولية) .

**سامح السعيد علي داود داود**

قسم اللغة العربية ـ كلية التربية، جامعة دمنهور ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: sameh_dawoud@edu.dmu.edu.eg

**مستخلص البحث:**

إن نص العروبة بطابعه المعرفي التاريخاني، وبما له من ممكنات الاتصال؛ له وظيفة إنجازية تحدد كفاءة النص على ضوء من شروط إنتاجيته، وآفاق توقعه.

وفي هذا الإطار تحددت تداولية الخطاب ومرتكزها من الدراسات النصية ونظريات السياق منهجًا علميًّا يعنى بالوظائف والكيفيات التي تعمل بها هذه الوظائف. ولطبيعة النص المعرفية- كما ذكرنا-؛ يتماس التحليل التداولي بانفتاحه على نظريات القراءة وآليات التأويل والتحليل الإبستمولوجي لعناصر الخطاب الشعري في بعده الثقافي؛ فكان تقسيم الدراسة مبحثين؛ الأول: البنية العليا لقصائد العروبة، ويختص بقواعد الأبنية الكبرى، وتشاكلاتها الجزئية والكلية، والآخر: تداولية الخطاب في قصائد العروبة، ومنوط به إنتاجية القصيد ممثلة في المكون القبلي من السياقات الخارجية، وفي ذاتية المبدع، كذلك النتاج البعدي وإعادة إنتاجية النص تبعًا لنوع القراءة ومستواها. وخلصت الدراسة من تحليلها لنص العروبة بعدة نتائج؛ أهمها أن النصوص واحدة الظلال لها سمات لغوية تجمع بينها، لتنتج مجموعة من التشاكلات الدلالية بمستوييها الجزئي والكلي، فقصائد العروبة تتقارب أطرها البنائية توزعًا بين طرفي الماضي والحاضر، حيث أكدت المتتاليات النصية هذه الثنائية في خطاب العروبة الشعري بما له من منحى تداولي.

**الكلمات المفتاحية:** الإبستمولوجيا – إلياس طعمة (أبو الفضل الوليد) – التداولية – التلقي – الخطاب الشعري– العروبة– النصية – نظريات السياق.

# Epistemology of Poetic Discourse in the Poems of Arabism by Abu al-Fadl al-Walid "Elias Tohme": (A Pragmatic Study)

**Sameh el-Saied Ali Dawoud Dawoud**
Department of Arabic Language, Faculty of Education, Damanhour University, Arab Republic of Egypt.
**Email:** sameh_dawoud@edu.dmu.edu.eg

**Abstract**

**The text of Arabism, with its historical cognitive nature and its communication capabilities, has an achievement function that determines the efficiency of the text in light of the conditions of its productivity and the horizons of its expectation.**

**In this context, the discourse's pragmatics and its basis from textual studies and context theories were determined as a scientific method concerned with the functions and methods by which these functions operate. Due to the cognitive nature of the text - as we mentioned - the pragmatic analysis is in contact with its openness to theories of reading and mechanisms of interpretation and epistemological analysis of the elements of poetic discourse in its cultural dimension; so the study was divided into two sections; the first: the superstructure of Arabism poems, which is concerned with the rules of major structures and their partial and total similarities, and the other: the discourse pragmatics in Arabism poems, which is related to the productivity of the poem represented in the pre-component of external contexts, and in the subjectivity of the creator, as well as the post-production and re-productivity of the text according to the type and level of reading. The study concluded its analysis of the Arabism text with several results; The most important of which is that the texts are one of the shades and have linguistic features that unite them, to produce a group of semantic similarities at their partial and total levels, as the poems of Arabism have structural frameworks that are close in distribution between the two sides of the past and the present, as the textual sequences confirmed this duality in the poetic discourse of Arabism with its communicative approach.**

**Keywords: Epistemology - Elias Tohme (Abu Al-Fadl Al-Walid) - Communicative - Reception - Poetic discourse - Arabism - Textuality -Context theories.**

## إبستمولوجيا(*) الخطاب الشعري في قصائد العروبة لأبي الفَضْل الوليد "إلْياس طُعْمِة": ( دراسة تداولية)

### الإطار النظري للدراسة:

إن المنطلق الأساسي لتعيين" كفاءة " نص ما، وظائفه والكيفيات التي تعمل بها تلك الوظائف؛ يتحدد بشكل رئيس من قيامه على نموذج اتصال يحقق" وظيفة إنجازية"، فالنص – بحسب فان دايك– " نتاج عمليات تلقٍ واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل"(١). ومن ثم فالنص لا يحدُّ بثوابت لغوية؛ وإنما بممكنات دلالية وتداولية نتجاوز معها وبها القاعدة إلى التوظيف، ونربط بين الداخل والخارج النصي.

والنص اللغوي حال اكتسابه صفة الأدبية من ناحية، وحال انفتاحه على السياقات الخارجية من ناحية أخرى؛ تشتغل عليه نظريات السياق على اختلافها، فالخطاب الشعري في أعلى وظائفه هو منظومة تواصلية عناصرها المبدع قصديته، وممكنات النص اللغوية وغير اللغوية، والمتلقي إنتاجيته عبر فعل القراءة،

---

(*) مصطلح الإبستمولوجيا(Epistemology) مشتق من الكلمة اليونانية( Episteme) وتعني المعرفة، ومن( Logos) التي تعني النظرية أو الدراسة، وهي في الأساس تعالج معالجة نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها بهدف التوصل إلى إرساء أساسها المنطقي، غير أن مدارها في بحثنا يتحدد بالظاهرة التاريخية والاجتماعية وسيرورتها بين الماضي والحاضر في قصائد العروبة. ينظر في تعريف الإبستمولوجيا: عادل السكري ، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م–ص٢٧–٢٨. وروبير بلانشيه :نظرية المعرفة العلمية( الإبستمولوجيا)، ترجمة: د: حسن عبدالحميد، مطبوعات جامعة الكويت،١٩٨٦م،ص٣٥. وكذلك لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية – ترجمة : خليل أحمد خليل ،منشورات عويدات للنشر والطباعة" بيروت – باريس"، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ج١، ص٣٥٦–٣٥٧.

(١) فان دايك، النص والسياق" استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، المغرب، ص ٢١.

فالنص تحليله بين عمليتي" إنتاج البيانات النصية المعقدة في مرحلة الأداء ، وإعادة إنتاجها بالفهم في مرحلة التلقي"([1]) .

ومن هذا الأساس، فإن الدراسة التحليلية لخطاب شعري تنطلق مما حدده رومان جاكبسون (Roman Jakobson) من قواعد، وما أقره تشومسكي (Chomsky) من مبدأ، وتطبق معايير النصية كمت أقرها دي بوجراند( Robert De BEAUGRANDE)، غير أنه تبقى هذه الأسس منطلقات أول في التحاليل الأدبية؛ فينبني عليها من بعد أن بُني لها من قِبل علماء اللغة عامة، والنصية خاصة.

**مشكلة الدراسة وعينتها :**

لما كانت النصوص الشعرية ذات البعد التاريخاني تنفتح اتساعًا على مجالات المعرفة في إطار الدراسات متعددة الاختصاصات؛ فإن ثمة وظيفة أيديولوجية مقصودة ومرادة في إطار بناء اتصالي ، له شروط إنتاجيته وآفاق توقعه، وعلى الباحث عند التعرض لنصوص لها مرجعياتها من التاريخ والمجتمع ألا يقف عند حدودها السطحية؛ حيث إن النص الشعري بما له من إمكانات التشفير يبوح بأكثر مما يبدو ظاهريًّا .

**وتمثل قصائد العروبة** لأبي الفضل الوليد نصًا معرفيًا؛ فهي خطاب شعري ذو بعد أيديولوجي، ينفتح اتساعًا على ضروب المعرفة التاريخية منها خاصة، ومن ثم حري بالباحث أن يستكنه رؤية الشاعر، التي نظم من أجلها سبع قصائد، تعد من المطولات الشعرية، هي "" المشرقية " و" المغربية " و"المكية " و" البغدادية " و"المقدسية " و" الأموية " و" الأندلسية " فكل منها هي مخاض للحدث السياسي في عصرها ، مفارقة له بالمجد العربي ومولد الإسلام في مكة، وحضارة بني أمية،

---

**(١) سعيد حسن بحيري، علم لغة النص" المفاهيم والاتجاهات"، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م- ص٢٢١.**

وحضارات بابل ،ومصر والحضارة العربية في الأندلس، كذا حري به النظر في أركان المنظومة الشعرية، والعلاقات بينها.

وفي ضوء هذه الرؤية النظرية للبحث؛ فإن الخطاب الشعري في قصائد العروبة لأبي الفضل بمكونه المعرفي، وأبعاده الدلالية والتداولية يستقطب عددًا من النقاط البحثية من شأنها أن تعين خصوصيته، وهي:

١- محددات البنى العليا في قصائد العروبة لأبي الفضل الوليد.

٢- المكون القبلي للخطاب المعرفي في قصائد العروبة بين ذاتية المبدع والشرط التاريخي.

٣- إرساليات الخطاب المعرفي وشروط إعادة الإنتاجية في قصائد العروبة.

**منهج الدراسة :**

دعمت الرؤية المعاصرة للمناهج النقدية – في ضوء انفتاح العلوم وتداخل المجالات المعرفية – عملية التركيب بين المناهج ، وبشكل خاص حال الدراسات السياقية بأطرها المرجعية والمقامية، ومن هنا كان **التحليل التداولي بانفتاحه على نظريات القراءة وآليات التأويل** إطارًا منهجيًا للبحث يتماس والتحليل الإبستمولوجي لعناصر الخطاب الشعري في بعده الثقافي، حيث يهتم بالظروف التاريخية والاجتماعية من ناحية، وقدرة السامع في الكشف عن مقاصد المتكلم واستجابته لها وما يستلزمه التواصل من معانٍ مقامية من ناحية أخرى([1]).

**الدراسات السابقة :**

فيما يتصل بعينة الدراسة، وهي قصائد العروبة لأبي الفضل الوليد، فالدراسات حول شعره قليلة إلى حد بعيد، أهمها وأكثرها اتصالًا بحدود البحث دراسة بعنوان" أبو الفضل الوليد (إلياس عبدالله طعمة) شاعر الحمراء، جورج

---

**(١) رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة، جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م، ص٤٦.**

غريب(١)، ودراسة بعنوان " التيار الوطني في شعر أبي الفضل الوليد (إلياس بن عبدالله طعمة )– القضايا والتحليل الفني، خالد كمال الطاهر(٢)، ودراسة بعنوان" صورة الغرب في شعر أبي الفضل الوليد " أحمد هلال محمد بني عيسى(٣). وقد اعتنت تلك الدراسات بالمضمون الشعري، فلم تنتظم أي منها على منهج تحليلي ينظر في الكيفيات التي نظم بها الشاعر معارفه، وما تحمله من إشارات وإحالات لا يبرزها الاعتماد على ظاهر النص و"قراءة" ما يتضمنه من معلومات تاريخية في الزمنين الماضي والحاضر.

وفي إطار ما يخص البحث منهجيته وآليات تحليله، شكلت دراسات علم اللغة النصي خلفية معرفية لا يستطيع باحث تجاوزها حال ما اتصل عمله بتداولية الخطاب، ومن ثم كانت العودة لمؤلف ديبوجراند" النص والخطاب والإجراء" ترجمة تمام حسان(٤)، ودراسة فان دايك" علم النص مدخل متداخل الاختصاصات" ترجمة سعيد بحيري(٥)، ودراسة "علم لغة النص" للأستاذ الدكتور سعيد بحيري(٦)، وبينما زودتني هذه الدراسات بالكثير من مبادئ النصية التي كانت

---

(١) ينظر:جورج غريب:أبو الفضل الوليد(إلياس عبدالله طعمة) شاعر الحمراء، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ،١٩٧٣م.

(٢) ينظر: خالد كمال الطاهر،التيار الوطني في شعر أبي الفضل الوليد (إلياس بن عبدالله طعمة)، القضايا والتحليل الفني، دار دجلة للنشر بالمملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى،٢٠١٦م.

(٣) ينظر: أحمد هلال محمد بني عيسى، صورة الغرب في شعر أبي الفضل الوليد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك– الأردن، ٢٠٠٨م.

(٤) ينظر:روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة، تمام حسان، الطبعة الأولى، عالم الكتب للنشر، القاهرة ، ١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

(٥) ينظر: تون أ. فان دايك: علم النص "مدخل متداخل الاختصاصات"، ترجمة د: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٦) ينظر:سعيد حسن بحيري: علم لغة النص" المفاهيم والاتجاهات"، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، الطبعة الأولى –١٩٩٧م.

ركيزة للتحليل التداولي، فإن الدراسات في التداوليات ونظريات السياق عمومًا أضيفت لما ينبغي أن يقوم عليه هذا البحث.

**مباحث الدراسة :**

قسمت الدراسة مبحثين؛ **أولهما:** البنية العليا لقصائد العروبة، ويختص بقواعد الأبنية الكبرى، وتشاكلاتها الجزئية والكلية، **والآخر:** تداولية الخطاب في قصائد العروبة، ومنوط بهذا المبحث إنتاجية القصيد، مكونها القبلي من السياقات الخارجية، وذاتية المبدع، كذلك النتاج البعدي، وإعادة الإنتاجية مع التمييز بين أنواع القراءة ومستوياتها.

# المبحث الأول

## محددات البنية العليا لقصائد العروبة

إن بؤر تشكيل الوضعية الخطابية لقصائد العروبة تشكّل ما يسمي بالبنية العليا للنصوص وما لها من توجه خطابي، فقصائد العروبة – على اختلاف عناصرها البنائية –لها من المرجعيات التاريخية والعناصر الموقفية ما يمثل أطرًا عامة للنموذج الأدبي؛ حيث يتم" توليد النص من فكرة أساسية عبر عمليات الحذف والاختيار والتعميم والتركيب والبناء، ويطلق على هذه العمليات قواعد الأبنية الكبرى للنصوص"(١).

وتتحدد الأطر البنائية لقصائد العروبة عن قصدية واحدة، ألا وهي الوحدة العربية، والهم العربي، وفي إطار هذه القصدية أتت وسائل التشكيل متقاربة حتى الاتفاق في سبع من القصائد/ المطولات، فلقصائد" المشرقية" و" المغربية " و"المكية" و" البغدادية" و"المقدسية" و"الأموية " و"الأندلسية"، محددات بنائية واحدة؛ تحدوها المرجعية التاريخية بتكنيك" الاسترجاع " وما له من وظيفة استحضار الشاهد والمثال، ويقابلها الشرط الراهن بحضور" الآن"/ الزمن الحاضر، ووظيفية هذه الثنائية بين إبراز التقابل، أو تأكيد إمكانية التماثل. وفيما يأتي تفصيل للصورة التداعيات والآليات والوظيفة.

**ـ صورة الشرق الخبرة المرجعية وقراءة التشاكلات :**

تنبني صورة الشرق في قصائد العروبة لأبي الفضل الوليد على مقولات معنوية مختلفة مشاربها، فاستدعاء الماضي، وترهين الحاضر، ورؤية المستقبل محاور ثلاثة توسل إليها بخبرات مرجعية، وبغير أداة لغوية وسردية وشعورية كذلك .

---

**(١)استخدم فانديك قبل سنة ١٩٧٢م مصطلح" البنية العميقة" ثم عدل عنه إلى مصطلح البنية الكبرى لتفادي أوجه الخلط مع استعمال تشومسكي وتصوره، وهذا المصطلح مصطلح دلالي تجريدي يعبر عن المضمون الكلي للنص .ينظر:سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص ١٤٩.**

**١ــ صورة الشرق " التشاكل الجزئي وتحويل المسار" :**

لم تأتِ صورة استدعاء الماضي أمجاده للتشريف، بقدر ما أتت تحقيقًا للتشاكل الدلالي بين صورتي الماضي والحاضر، فالشاعر يعيد إلى الأذهان باسترجاعات خارجية بعيدة المدى صورة من الماضي باسترجاعات موظفة دلاليًا خدمة للقضية العربية؛ حيث" لكل عودة اسم وفعل ووظيفة وبنية "(١).

فقد يأتي الاسترجاع إقرارًا أن الماضي لا يتردى بانتهائه، وإنما الدائرة أبدًا تتصل باتصال الأسباب بنتائجها، ففي المشرقية ومطلعها :

**لقَدْ طالَ المَطالُ علــى وعُــودٍ بهــا تُطلــي مطــامِعُ أشــعبي**

**إذا قُلنا: مَتى الإنجــازُ، قُلــتُمْ: حَذارِ جحافــلَ المَلِــكِ الخفــي(٢)**

يحدث الشاعر تقاطعًا دلاليًا بسبيل التماثل وما يفرضه قانون التعاقب من تكرار النتائج بتكرار أسبابها، حيث يعرض لصورة الشرق المنكوب، الملاحق أبدًا من الغرب الغاشم المتصيد له بسلاح القوة، والمهادن بالدهاء وبالخديعة، تعوزه القوة والنصرة، فثمة ميزان غير متعادلة كفتاه، فنحن – العرب– أصابتنا الفرقة؛ فانفرط عقدنا، ووهن منا العضد، وطمعت عيون أعدائنا لما رأوا فرقتنا، فغدا المصير المنتظر مصير" الحمر" وقد أبيدوا، وكان اتحادهم بالبقاء لهم كافلًا، وهو ما عبر عنه أبو الوليد بقوله:

**فلو أنَّ الهنودَ مشوا جميعًــا إلــى يــومٍ أغــرَّ عَرَمْرَمــي**

**لطاحَ الانكليــزُ بــهِ وآلــت شــدائدُه إلــى شــد المطــي(٣)**

---

**(١) مدحت الجيار: السرد الروائي العربي" قراءة في نصوص دالة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م ، ص٥٧.**

**(٢) أبو الفضل بن الوليد: إلياس عبد الله طعمه، ديوان( الجندي المجهول )، راجعه : جورج مصرعه ،دار الثقافة العربية – لبنان – بيروت ، د. ت – قصيدة " المشرقية " ، ص٧٣.**

**(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة "المشرقية "– ص٧٥.**

والشاعر عمد إلى الأسلوب الشرطي بالامتناع إقرارًا لامتناع الجواب وهو الإحاطة بالعدو، لامتناع السبب وهو عدم تحقق الوحدة المرجوة. ويقرن بين هذه الصورة الماضية قاتمة الظلال (الهنود الحمر)، والحاضر العربي حيث الفرقة والشتات تستتبع الهزيمة والضياع.

والاسترجاع هنا بإيراد الحادثة المشابهة وضرب المثال إنما هو نوع من أنواع التشفير القصد منه التحذير من تكرار الفاجعة؛ لما يسم العرب في أيامنا من فرقة وشتات، فتبدو المماثلة بعودته مرة أخرى إلى الحاضر العربي:

**ولكـــنّ الدســـائسَ فرّقَتنـــا فصـــرنا كالنبـــالِ بـــلا قِســـى**

**لفولاذِ المـــدافعِ قـــد خَضـــعنا فســـيدُنا أذلُّ مـــن الخصـــي(١)**

ومن ثم فصورة الماضي- بالاستدعاء- في تماثلها مع الراهن العربي، أسهمت في خلق المجال الدلالي، في إطار من قصدية مبدعه، وخبرة قارئه.

وإن كان الاسترجاع السابق من قبيل المماثلة بين الماضي والحاضر؛ فقصائد العروبة تزخر بنماذج يتقاطع فيها الزمنان الماضي والحاضر؛ حيث في هذا الموضع" التشاكل ينتج عن التباين، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وأنه هو الذي يحصل به الفهم الموحد للنص المقروء وهو الضامن لانسجام أجزائه وارتباط أقوله"(٢)، فتبدو المفارقة بين ماضٍ مجيد وحاضر سليب في قول أبي الفضل:

**خليفتكُم حوى الدنيا فـــأزرت عمامتُـــــه بتـــــاجِ كســـــروى**

**ورثتُم ملكَ غســـانٍ ونصْـــرٍ وحِمْيـــرَ ذي الجـــلالِ التبّعـــي**

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة "المشرقية" – ص٧٥.**

**(٢) ينظر: جوزيف كروتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابيـــة، ترجمـــة، د: جمـــال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف بـــالجزائر- الطبعـــة الأولـــى، ٢٠٠٧م، ص ٨١. ينظر كذلك: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري( استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة ،١٩٩٢م ، ص ٢١.**

**وقد زدتــم عليــه ملــكَ دارا وقيصــرَ ثــم فرعــونَ الحمــى**

**مواطنُكم يَعيثُ الــرومُ فيهــا وهم منها علــي كنــفٍ وطــي(١)**

يستحضر الشاعر الماضي العربي باسترجاع مقيَّد، والتقييد ليس بالمدى الزمني المتسع اتساع حضارة العرب، وإنما بكونه " **أيقونة أولى**" تتوالد منها ومعها مقولات أخرى إما عن طريق التوازي أو" التضاد" الذي قد ينحرف بالمعنى إلى مسارات أخرى أكثر تعقيدًا ، وذلك في إطار قصدية " المبدع " ورؤيته الخاصة الموجهة إلى شريك له، يعلم تمام العلم أنه يجمعه به إطار واحد تاريخي اجتماعي سياسي .

ومن ثمَّ فالاستدعاء السابق ما هو إلا نواة ، يعيد المبدع تشكيلها غير منسحب بها إلى زمنها التاريخي ، بل ينظر إليه كونه" مرهوناً بحراك أزمنته في اللحظة التي أنتجته كقيمة معرفية"(٢). فالماضي العربي" المجيد" في هذه الأبيات ليس له حتمية تاريخانية موجبة لتمثله استحضارًا إلا بسبيل التحسر على هذا المجد، وإظهار البون بين الحال الماضي، والحاضر المنهزم، وإحداث عملية خلخلة في الذاكرة، وفي ذلك إشارة إلى التوضع المعرفي والنفسي والاجتماعي الذي يسارع بعملية تنبيه مقصودة، لإقرار التباين بين تلك الصورة الزاوية والحاضر الأسود الجاثم بطيلسانه، عامدًا إلى تهيئة المتلقي واستنفار وعيه ومشاعره إحداثًا للتغيير.

فالشاعر يستطرد على صورة الماضي أمجاده بقوله:

**مواطنكم يَعيــثُ الــرومُ فيهــا وهــم منهــا علــي كنــفٍ وطــي**

**لكــم أشــواكُها ولهــم جنَاهــا فليــتَ حتــوفَهم عنــد الجنــي**

**صبرتُم صــبر أيــوبِ المعنــى علــيهم بعــدَ حلــمٍ أحنفــي**

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة" المشرقية"، ص٧٦.**

**(٢) جمال الدين الخضور: قمصان الزمن" فضاءات حراك الزمن في النص الشــعري العربــي، دراسة نقدية اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م ، ص ٥٧.**

**فما عرفوا لكم صــبرًا وحلمًــا وهل يُرجى الندى مــن أعجمــي (١)**

والنظر في المتتاليات النصية في الأبيات وما سبقها؛ يوقفنا على صورة من صور التشاكل الجزئي، فثمة انحراف في المسار من صورة المجد العربي إلى الحاضر المهزوم إلى ما يستتبع التقاطع بين الزمنيين من خبرات مرجعية من عدم جدوى الصبر والحلم وانتظار الوعود الزائفة محدثًا تقاطعًا بين الماضي والحاضر بطريق التشفير، فثمة متتالية نصية عمومية، تقوم على" فروض دلالية تعتمد على اللغة، وعلى المعارف العامة المتعلقة بالعالم أو الإطار الذي يتم التعبير فيه، لابد أن تتوفر لدى السامع أو المتلقي ، فيستطيع عن طريقها، وعن طريق العبارات الصريحة الماثلة في المتتالية أن يشتق مجموعة من العبارات الضمنية الخاصة التي يستقيم بها تسلسل المتتالية النصية" (٢).

وتلتزم المفارقة سبيلًا في" الأموية" كذلك، فيعرض الشاعر صورة من الماضي العربي، وهي تاريخ دمشق وولاتها"؛ قاصدًا إلى استثارة مجموعة من التراكمات المعرفية من الذاكرة من شأنها إبراز التضاد بين زمن التراكم وزمن الرؤية؛ فالزمن الماضي –بسياقيه التاريخي والاجتماعي يمثل" أزمنة التراكم/ الرغبات"، والزمن الحاضر" زمن الرؤية" يشير إلى الزمن الاجتماعي وما يرتبط به من عنصر المثاقفة من قِبل مبدع النص ومتلقيه–هو من قِبل التشاكل– التراكم المعنوي حسب غريماس –وهو" مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية(أي المقومات )التي تجعل (هناك) قراءة متشاكلة للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حل إبهامها ، هذا الحل نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة "(٣).

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "، ص٧٦.**

**(٢) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٦٢.**

**(٣) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري( استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م ،ص٢٠.**

ويبدو هذا المسار بحركة التفاف من الماضي إلى الحاضر ، تلعب دالة اللغة دورًا مائزًا فيه، عن طريق الاستفهام الإنكاري، يحدث التحول بطريق التوليد من الصورة الأولى :

**أدمشقُ شــرّفَكِ الخلائــفُ مــدةً وزمــــانُهم حسَـــنٌ كظـــلٍ خضـــيل**

**هل أنتِ راضــيةٌ بعلــجٍ بعــدهم أو رائـــــشٍ متـــــذلِّلٍ لـــــذليل**

**العــربُ حكــامُ الشــآمِ وأهلُهــا وقبـــورُهم خـــتمٌ علـــى تســـجيل**

**منهم لها خلفــاءُ أو أمــراءُ أو علمـــاءُ لـــيسَ عديـــدُهم بقليـــل**

**فعلى المآثرِ والرمــامِ ســلامُها وعلـــى ثـــرى بـــدمائهم مجبـــول(١)**

وبالرغم من أن المحرك الالتفاف في نص الأموية دالة لغوية ، فإن اشتغالها على المعطى السياقي منح النص تداوليته، فصارت له وظيفة إنجازية؛ حيث إن الإنشاء الاستفهامي بدلالة الاستنكار اختزل أحداثًا كاملة يرهنها حاضر مستعبد خارجيًا بعلوج المستعمر، وداخليًا بتخاذل حكامه .

**٢ــ التشاكل الكلي والمعنى البؤري :**

ينظر في هذه الجزئية إلى قصائد العروبة باعتبارها نصًّا كاملًا، ومن ثم نعنى بإبراز القاعدة النصية فيها بناء على" التكوينات الكلية التي يمكن أن تتجزأ إلى عناصر ومكونات صغرى في مرحلة التحليل، إلا أن هذا لا يعني استقلال الأجزاء، بل تظل العلاقات القائمة بين هذه الأجزاء والوحدة الكلية"(٢).ومن هنا نرى أن المعني البؤري(الشأني)ملتزم في قصائد العروبة؛ حيث بدت الفضيلة للمبدع في إيراده المعنى بصور وطرق لغوية مختلفة، فالمعني" يجب أن يكون متجليًا في قدرة ( كفاءة ) المتكلم، أن يعبر عن الفكرة ذاتها بأشكال (طرق)مختلفة، وأن يتعين ذلك

**(١) أبو الفضل الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة "الأموية " – ص٩٩.**

**(٢) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص١٠٠.**

في قدرة المستمع، وأن يكون قادرًا على الفصل بين منطوقات مترادفة متباينة من الناحية الشكلية باعتبار أنها ذات معنى واحد "(١).

ومن ثمَّ جاءت صورة الشرق في قصائد العروبة كافة بين طرفي الماضي والحاضر، بينما بُني المستقبل استشراقًا على خبرة مرجعية مرتكزها التاريخ والواقع الاجتماعي، وأدواتها النظام اللغوي بآلياته، وبينهما مجموعة من المتتاليات النصية ذات الصبغة العمومية، وهي عبارة عن" فروض دلالية تعتمد على اللغة والمعارف المتعلقة بالعالم، أو الإطار الذي يتم التعبير عنه" (٢). فتتوالي الأفعال الأمرية في حيز لاستنهاض الهمة وطرح ثياب الذل والهوان. ويتصدر الحاضر المهزوم اللوحة المشهدية للعروبة، ولا يبقي للماضي أثر بها إلا في خلفية باهتة فيها، يشتغل على إبرازها الاستفهام بأدواته المختلفة، فيأتي الاستفهام بغرض التحسر بأداة الاستفهام "أين" المحملة بدلالات الفقد والضياع في قوله :

**أين القبائلُ من قيسٍ ومن يمّنٍ والملكُ يبعثُ مطعانًا ومضرابا**
**أين الأساطيلُ مرساة ومطلقة تحمي ثغوراً أتاها العلجُ نهّابا**
**إن الصحابة والأنصار قد حفظوا عهد النبيّ وكانوا عنه نوابا**
**فأين أمثالُهم في معشرٍ أخذوا عن الأعاجمِ أنواطاً وألقابا**
**يا مصرُ كوني لعربِ الغربِ هاديةً وأوفدي من رجالِ العلمِ أقطابا**
**حتى تري كل أفريقيةَ اجتمعت على العروبةِ والإسلامِ أعصابا(٣)**

والتشاكل بتراكم صورة الماضي وترهينه بالحاضر، مع إبراز المفارقة بينهما ،غير مقصود لذاته، بل لما يترتب عليه من أثر، فالقصد هنا تأكيد عملية

---

(١) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص٨٥.

(٢) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ،١٩٩٦م، ص ٢٦٢.

(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المغربية "، ص٨٠-٨١.

الانتقال من داخل النص إلى خارجه– كما حدثت قبلا من خارجه إلى داخله– فمن المكونات المهمة في نموذج النص عند" بتوفي" ما يسمى بـــ" التمثيل التوسيعي والدلالي الذي ينبغي أن يتبع – من خلال تمثيل امتداد النص نماذج قائمة على السياق بكل نص على حدة في كل عالم من العوالم الممكنة، أي يربط منطوقات النص بنماذج غير لغوية للواقع"(١).

ففي بغدادية أبي الفضل:

**أين المدارسُ والمكاتــبُ رحبــةً والعلـــم فيهـــا طـــارفٌ وتـــلاد**

**أين الجحافلُ والمحافــلُ والألـــى سادوا وشادوا والشــعوبُ تُفــاد(٢)**

الأثر المعنوي الناتج عن التشاكل في الأبيات السابقة تمثل في الخبرة المرجعية المحصلة من الماضي، وهي الأسباب نفسها للهزائم في الزمن الحاضر؛ مما يستدعي مقصدًا له أسس تداولية، ألا وهو الربط بين النص وما ينقله من خبرات والسياق وما يرتبط به من إحداث التغيير ومناطه فكرة مؤداها أن سلاح القوة هو الأنجع في معاملة المغتصب لا دعاوى السلام ولا موائد المفاوضات، وهو ما برز في قوله :

**فما حَسَمَ الخيانةَ وهــي داءٌ سِـــوى ســـيفٍ احـــدّ مهلبـــي**

**صلاحُ الدينِ ماتَ فهل ســميٌّ لقـــاهِرهمْ لـــه بـــأس الســـمي(٣)**

وحري بالإشارة أن تلك الفكرة اعتمد الشاعر لإثباتها على مرجعية تاريخية تمثلت في استدعاء شخصية صلاح الدين بإشارية استرداد بيت المقدس بالحرب في موقعة حطين. وإن تحليل النص في ضوء العلم بالواقعة التاريخية يؤكد ضرورة"

---

**(١) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص" ،ص ١٦٩.**

**(٢) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " البغدادية"، ص١٠١.**

**(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "، ص٧٦.**

الاستعانة بعدة علوم أخرى، أي بناء سنتيجميمات كبرى، من المحتمل أن تسند إليها وظائف محددة به"(١).

فإذا نظرنا إلى الأبيات– في كل الأمثلة السابقة– كونها وحدات توزيعية، لرأينا الماضي دائمًا بين وحدتين من الحاضر السليب بأشكال الحسرة والغلبة والقهر. فاعتماد المبدع على السياق التاريخي والاجتماعي في الزمنيين الماضي والحاضر، في المشرقية بالعودة للقبائل والممالك العربية ، أو في الأموية باستحضار المجد العربي في قوة الخلافة الإسلامية في عصر بني أمية، أو في المغربية حيث "عاد" و" شداد" و" ممالك حمير" و" فتح إفريقية"؛ يأتي بقصد المفارقة ومن خلال التراكم المعنوي على طرفي الإيجاب والسلب، ففي قوله على سبيل المثال :

**الأمسُ أسـعدَنا واليـومُ يُتعسـنا فالقادسـيةُ جـرّتْ بعـدها الزابـا**

**غلبتمونا ولكـن سـوف نغلِـبكمْ والـدهرُ مـا انفـكَّ دوّاراً وقلابًـا**

**قبلَ التفاني على حقـدٍ وموجـدةٍ شـدُّا الرحـالَ إلـى البطريـق والبابـا**

**ماذا يريد علوجُ الرومِ من عـربٍ ولم يكونـوا لهـمْ أهـلاً وأصـحابا(٢)**

يتصدر الحاضر المهزوم للوحة المشهدية للعروبة ،ويحبس الماضي في الخلفية باعتبار ما كان، وهو ما تحققه" الصيغة اللغوية الماضوية "الأمس أسعدنا" التي خضعت لتأثيرات السياق قرائنه المعنوية، واشتغلت عليها كذلك القرينة اللفظية وهي الظرف الدال على المعنى، فالصيغة خضعت لاختيارات الشاعر أداءً لوظيفتها وهي المعنى، فـ" الاختيار الدقيق للكلمات في نظامها النحوي هو أساس المعنى وكل معنى بعد ذلك مبني في حقيقته على هذا المعنى الذي يعطيه هذا الاختيار"(٣).

---

**(١) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات"، ص ١٠٢.**

**(٢) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة "المغربية"، ص٧٩.**

**(٣) محمد حماسة عبداللطيف: النحو والدلالة" مدخل لدراسة المعنى النحـوي والـدلالي"، دار غريب للطباعة والنشر– القاهرة،٢٠٠٦ م، ص٢٢٧.**

فصيغة الذي انحبست فيه السعادة في ماضٍ منقطع الاتصال به، ولا حضور في الزمن الحالي .

**وتعاون الإنشاء بنوعه الاستفهامي وبأداته " أين " مع الصيغة الماضوية "** أسعدنا " التي دلت على ماضٍ منقطع بقرينة لفظية " أمس "، وأخرى مقامية اتصلت بالسياق، فكانت دلالة التحسر على ماضٍ منقطع انحبس فيه معني السعادة حيث حال الحاضر الأسود دونها، فلم يتبق أثر من ماضٍ سعيد سوى ما يطالعنا به في أسئلة متتالية ترسخ معنى الفقد، حيث تبحث عن المجد البائد فلا تعثر له من أثر :

**أين القبائلُ من قيسٍ ومن يمّـنٍ والملـكُ يبعـثُ مطعانًـا ومضـرابا**

**أين الأساطيلُ مرسـاة ومطلقـة تحمـي ثغـوراً أتاهـا العلـجُ نهّابـا**

**إن الصحابة والأنصار قد حفظوا عهـد النبـيّ وكـانوا عنـه نوابـا**

**فأين أمثالُهم في معشـرٍ أخـذوا عـن الأعـاجمِ أنواطـاً وألقابـا(١)**

وإن توزُّع الصيغة في الجملة الاستفهامية التي قامت عليها هذه الأبيات، يوضح المفارقة بين الزمنين الماضي والحاضر، وهي مفارقة لا ترتبط فيها الصيغة اللغوية بالزمن، فـ" وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبي واحد يعني تفريغ صيغة ما، دون غيرها من الزمن ، حيث تشير إلى وجه من وجوه دلالتها الحديثة، ومن هنا يكون من الخطأ إسناد الزمن إلى مثل هذه الصيغ بوصفها شكلاً زمنيًا، لأن الزمن يكتسب من قرائن السياق اللفظية والمعنوية"(٢) .

فالصيغ اللغوية في الأبيات فرغت من دلالتها الزمنية، وجاءت الصيغة الحالية للدلالة على الماضي لتأكيد قوة أثرها، واستمرارية شخوصها في العقل الجمعي، بينما أتت الصيغ الماضية في البيت الأخير منسحبة بقوة السياق للدلالة

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المغربية "، ص٨٠-٨١.**

**(٢) مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، الهيئة العامة للكتاب للطباعة والنشر، ١٩٨٦م – ص٧١-٧٢.**

على الزمن الحالي تأكيدًا لدلالة التحسر من ناحية، وكون فعلهم بانتهائه استتبع ما وليه من تردٍ وسقوط.

ويردف الشاعر استفهامه التحسري بأداة الاستفهام" أين" **بالاستفهام بـ"متي"**، فعلى نحو ما أتي الاستفهام تتمة لغوية – إن جاز التعبير– مع الزمن الماضي، مع كثرة في استخدام الأداة "أين" بدلالة التحسر على ما فات، كذلك يأتي الاستفهام مع الاستقبال بأكثرية أداة الاستفهام "متى" بما يفيد " التمني"(١)، وذلك في نحو قول الشاعر :

**متى أراكِ عَروبًا حـرةً وأرى غيمَ الفـرنجِ عـن الآفـاق منجابـا**

**مرآةُ جوّكِ من أنفاسِهِم كدرت وماءُ روضِـكِ لا يشـتاقُ أعشـابا(٢)**

ويأتي الاستفهام الإنكاري بأداتي الهمزة و" هل" ومن شأنهما" طلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء"(٣) ، ففي قوله:

**أأنتِ بـذاك راضـيةٌ لأرضـي بـآلام الشـهيد الطـالبي؟**

**فقالت :أنـت بالإسـلام أولـى فصـلّ فسـلّمنَّ علـى النبـي(٤)**

وقوله :

**هل ارتضيتِ نكاحَ الرومِ سالبةً وهل تخذتِ بنات الرومِ أترابـا(٥)**

---

(١) السكاكي( يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقـوب (ت ٦٢٦هـ) : مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتـب العلمية للنشر، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧ م– ص ٣٠٨–٣٠٩.

(٢) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة "المغربية"، ص٨١.

(٣) مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، الهيئة العامة للكتاب للطباعـة والنشـر، ١٩٨٦م ، ص٧١–٧٢.

(٤) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية " ، ص٧٨.

(٥) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المغربية "، ص٨٢.

وقوله:

**هل لابن خلدون صوتٌ في مساجدِكمْ وفي مدارسَ تَلقي العلمَ نوابا(١)**

يظل السؤال موجهًا الدلالة الزمنية صوب" الماضي" بدلالة النفي للحدث، مع كون احتمالية دلالته على المستقبل قائمة بدلالة التمني ، يدعم ذلك أن الاستفهام بأداة " هل " يوجه الدلالة صوب المستقبل، فـ " إذا قلت هل تضرب زيدًا، فلا يكون أن تدعى أن الضرب واقع، وقد نقول أتضرب زيدًا ، وأنت تدعى أن الضرب واقع "(٢). ولا نقطع في هذا الشأن، وإنما نقارب بما نقف عليه من تأرجح الشاعر بين طرفي النفي إقراراً لمعنى الانقطاع، والتمني في سياق استشراف الاتصال .

وفي عودة لما ذكرناه من نفي الارتباط بين الصيغة اللغوية والزمن، يأتي" الحاضر" في قصائد العروبة لإلياس طعمة متلبسًا الصيغة الماضية التي" تضطلع هنا بدلالة التجدد الفعلي عدولاً عن أصلها"(٣)، وهو ما نراه في قوله :

**ويا طرابلس الغربِ التي نكدتْ بحكم رومةَ إسغاباً وإلغابا**

**عليكِ سالت دماءُ العربِ طاهرةً واستشهدَ البطلُ المغوارُ ذبَّابا**

**راعتْكِ غارة أعلاجٍ على سفنٍ ملأَّحُهمْ يمتطي للقَدْرِ مرزابا**

**وأنت يا تونسَ الخضراءَ قد رحلتْ عنكِ النضارةُ فاستُقبِحتِ إجدابا(٤)**

---

(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "، ص٨٠.

(٢) سيبويه( أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر بن سيبويه – ١٨٠هـ )- الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م – ج ٣/ ص ١٦٧.

(٣) السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ ): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية، عُني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني، مصر، مطبعة السعادة للطباعة والنشر، ١٣٢٧هـ – ١٩٠٩م ، ج ١/ص ١١٣ .

(٤) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المغربية "، ص٨١.

فالأفعال" نكدت " و" راعتك " و"رحلت النضارة " و" استقبحت " جميعها صيغ لغوية ماضية، غير أن الماضي هنا مستمر في زمن الحال بقرائن السياق؛ حيث حملت تلك الصيغ الماضية دلالة التجدد الفعلي في تأكيد مرور الوقت، وطول فترة التدابير لنقضه من ناحية أخرى .

ومن ثمَّ فإن اختيار الشاعر للصيغ الماضية والعدول بها عن دلالتها الأصلية جاء خادمًا للدلالة المعنوية المشحونة بمشاعر اليأس المفعمة بنفس الشاعر لبُعد الشقة بيننا وبين ماضينا المجيد، وطول أمد الشقاء في عصر النكبات وويلاته وهزائمه .

ولا شك أن المادة المعجمية للصيغ اللغوية – المنسحبة من الماضي للدلالة علي الحاضر بأثر المقام – أسهمت في تعيين الدلالة المعنوية ، بما يتفق والحاضر المتراجع بكل ما يعتور الحديث عنه من مرارة الهزيمة وأنين الألم وعصرة الحزن، وما به من ارتعاش وخور وقبح كذلك .

وكذلك أتت بنى "نكدت، راع، رحل، قبح" لتقديم صورة مشهدية مهترئة جوانبها، منسحبة بما لها من إمكانات صيغها للدلالة على حاضر منقطع عملت على تأديته الصيغ الماضية، حيث أنتجت دلالة معنوية تؤكد الاستغراق الزمني وطول أمد الشقاء من ناحية، وتنقطع عن حاضر مرغوب يؤمل فيه الشاعر من ناحية أخرى، فكأنه اجتزأ من الحاضر صورة مفارقة لآخر يتمنى احتسابه من الماضي، وهذه الصورة الأخيرة استوعبت الماضي، ونراها في الوقت نفسه تبني مستقبلًا موعودًا، وإن حركية الصيغ التي نراها بكل ما تثيره من دلالات تؤكد أن" كلمات اللغة في وظيفتها الدلالية متعددة الأبعاد تبعًا لموقعها من البنى التركيبية، ومن وراء ذلك الموقع موقف يتخذه المتكلم من أدواته التعبيرية مما يجعل رصيد اللغة لا متناهيًا في دلالته"(١).

---

**(١) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٦م ، ص ٥٦.**

وفي حركة استشرافية للمستقبل يرتبط المأمول بفعل الطلب، فتكثر الجمل الأمرية في قصائد العروبة في صور الأمر المباشر، كذلك ما يرتبط به من سياقات النهى والدعاء والتمني. وتعين الجمل الأمرية بأشكالها الزمن في الحال أو الاستقبال، فـــــــــــ" الأمر دال على ما يكون ولم يقع " (١).

وعن دلالة الأمر في قصائد العروبة، فالدلالة على الحض والحث مهيمنة على الجمل الأمرية، ففي المشرقية :

**أيـــا أهـــلَ المشـــارق لا تنـــاموا فـــإنَّ عـــدوّكُم فـــي ألـــفِ زيٍّ**
**وكونـــوا أُمَـــةً يـــومَ التنـــادي علـــى أمـــم مـــن الغَـــرْبِ الغـــويِّ**
**وصـــيروا بعـــدَهُ أُممـــاً تآخـــت وقد عَطَفَ الصفيُّ على الصـــفيِّ (٢)**

وكذلك في قوله في المشرقية :

**أغيـــروا كلُّكـــم عربـــاً وغـــاروا علـــى الـــدينِ الحنيـــفِ الأحمـــديِّ**
**ودونَ الملـــكِ والإســـلامِ موتـــوا علـــى حـــقِ كسّـــيدنا علـــي**
**وصـــونوا خيـــرَ ميـــراثٍ وســـيروا على النهجِ القـــويمِ الراشـــديِّ(٣)**

ويقول إلياس طعمة في" المغربية " :

**يا بنتَ يعربَ ســيفُ الحــق منــدلقٌ فأشّـــربيه دمَ الكفّـــارِ إشـــرابا**
**وارعَىْ بنيكِ وصـــوني إرثَهـــمْ أبـــداً فالدهرُ قد أكلـــبَ الإفـــرنج إكلابـــا**
**وقـــاومي فـــتحَ أســـطولٍ بمدرســـةٍ فطالما غلـــبَ القرطـــاسُ قرضـــابا**
**تحيـــا الشـــعوبُ بـــآدابٍ وألســـنةٍ ولو غدا الحكمُ إعســـاراً وإصـــعابا**

(١) الكتاب: سيبويه، ج ١/ ص ١٢.
(٢) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "، ص٧٥.
(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "، ص٧٦.

**فبشّـــري بكتـــابِ الله ناشـــرةً لسانَهُ واهـدمي للـرومِ أنقابـا(١)**

وكذلك قوله في " البغدادية " :

**عودي إلـى ماضـيكِ يـا بغـدادُ والعربُ فيكِ الصـيدُ والأسـيادُ(٢)**

فالصيغ الأمرية بالأمر المباشر " كونوا " و" صيروا " و" أغيروا " و " صونوا " و" ارعي " و" قاومي " توالت في الأبيات للدلالة على الرغبة في تحقيق الفعل، والاستمرار فيه، كذلك أفادت زمن التحقيق معنيًا بالحال واستمراريته في حيز ما يستقبل من الزمان .

ففي قصيدته " المكية " :

**وتجمّعـوا أُممـا وصـيروا أُمَـةً فالملـكُ أعظـمُ بالعديـدِ الأكثـر**

**كونـوا كبنيـانٍ يشـدد بعضُـهُ بعضاً فيأمنْ كـلَّ ريـحٍ صرصَـر**

**لا شيءَ يفصَـلُكمْ وهـذا ديـنُكمْ ولسانُكمْ فتمسـكوا بـالجوهر(٣)**

وتأتي الصيغة المضارعة معنية بالدلالة على ما يستقبل من الزمان في قوله بالقصيدة " المكية :

**فكـذا أؤمـلُ أن تصـيري دولـةً كبـرى بـنظمِ فريـدكِ المتنثِّـر**

**فأراكِ تنبسطينَ في شـرقٍ وفـي غربٍ كمـا انبسـطت قـوادمُ أنسُـر**

**وأسـيرُ فيـكِ مشـرّقاً ومغرّبـاً وأجـرّ ذيـلَ التائـهِ المتكبّـر**

**وأقـولُ هـذي أمتـي أو دولتـي أو رايتـي لمعـزّةٍ ولمفخـر**

**فهي القويّةُ والعليّةُ فـي الـورى وأَنا القويُّ أنـا العلـيُّ أنـا الجـري**

---

(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المغربية " ، ص٨٣.

(٢) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " البغدادية "، ص١٠٠.

(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المكية "، ص٨٩.

في الكعبةِ العُظمى تعالت صـيحةٌ لابـنِ الرسـولِ النـافرِ المسـتَنفِر
في الجامعِ الأمـويِّ طـنَّ دويُّهـا والمسجدِ الأقصى وصحنِ الأزهـر(١)

فالصيغ المضارعة هنا" أؤمل " و" أراك " و" أسير " و" أجرُّ " و"أقول " ثم العدول بها – بفعل السياق – من أصل دلالاتها الزمنية وهي الدلالة على الحال إلى الاستقبال بقرينة معنوية ، هي السياق ومقتضياته ، وأفادت " التجدد الفعلي "(٢)، واستمرارية الفعل كذلك في زمن مستقبلي"(٣)، وجاء البيت الأخير بجمله الخبرية المثبتة متعاوناً مع الصيغة الفعلية" المضارعة" في الدلالة على التجدد واستمرارية الحدوث. وهو الأمر ذاته يتكرر في " المقدسية " في قوله :

أنت العظيمةُ فوق الرمـلِ نائمـةً أنـتِ الكريمـةُ فـي أيـام بؤسـاك
أنتِ الرحيمةُ والأسـيافُ مُصْـلتةٌ أنـتِ الحليمـةُ والأبطـالُ أسـراك
أنـتِ العفيفـةُ واللـذاتُ سـائحَةٌ أنـتِ الظريفـةُ والزهـراءُ مغنـاك
أنتِ الخفيفـة والأعنـاقُ مثقلـةٌ أنتِ اللطيفـةُ والأعـلاجُ أعـداك (٤)

فهذه الجمل الاسمية وما يشابهها في قصائد العروبة إنما تعين الزمن الحالي والمستقبلي بترجيح الدلالة المستقبلية في ارتباطها بالمأمول من عودة المجد والشرف العربي؛ فالجمل الاسمية المثبتة بالرغم من صلاحيتها لجميع أقسام الزمن؛ فإنها تعين في هذا السياق الدلالة مستقبلية " ما يؤمل أن يكون " من العظمة والشرف العربي، فضلًا على ما تؤديه من دلالة الثبوت تأكيدًا لإمكانية التحقق.

---

(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المكية "، ص٨٨.
(٢) الخطيب القزويني( محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ): التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، القاهرة، دار الفكر العربي ، ص ١٠٧ .
(٣) الصبّان( محمد بن على الشافعي )- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفيـة بـن مالك، ضبطه وصححه: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتـب العلميـة -١٩٩٧م، ج ٢/ص ٢٩٢- فقد أشار الصبان إلى سمة الاستمرار في صيغة يفعل وما يؤدي دلالتها .
(٤) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المقدسية "، ص٩٠.

# المبحث الثاني

## تداولية الخطاب في قصائد العروبة

يكتسب الخطاب الشعري في قصائد العروبة منحىً تداولي؛ بما له من مرجعيات سياقية من ناحية، وبوصفه بناءً اتصاليًّا يصل مبدع النص بمستقبله في عمليتي إنتاج النص وإعادة إنتاجيته. وهو ما نفصل القول فيه في هذا المبحث.

**١ـــ المكون القبلي وشرط الإنتاجية:**

من الفرضيات الأساسية لدراسة أي خطاب شعري الوعى بمكونه القبلي، وإذا كان الخطاب ذا منحى تداولي؛ فإن العناية بشروط إنتاجه من أوليات البحث وأساسياته.

وإن تعورف على أن المكون القبلي للخطاب الشعري عامة خاص بمبدعه؛ فإن الخطاب ذاته حال انبنائه على مكون معرفي؛ يتسع بالضرورة ليشمل السياق الثقافي المولَّد للنص مكوناً قبليًّا، يمثل الوعي به إطارًا كليًّا نتعرف من خلاله على المبدع؛ إذ إن السياق الثقافي وما يحمله من تراكمات تاريخية واجتماعية، وتوجهات فكرية؛ هو ما تتقابل معه الذات الشاعرة في وضعية مجتمعية وسياسية بعينها، وحينما يحدث التفاعل ينتج شكل مستقر هو الخطاب الشعري مكونه المعرفي من وجهة نظر مبدعه في إطار سياق بعينه. ومن هنا يشتغل المبحث على محورين؛ هما: السياق الثقافي وما يحمله من تراكمات معرفية، ومبدع النص وتوضعه المعرفي من محيطه الثقافي.

**( ١ــ ١ ) السياق الثقافي، التراكم المعرفي ومحددات الرؤية :**

تُعد التراكمات المعرفية المبنية على السياقات التاريخية المكون الأول لأي خطاب شعري، وتتعين بالفترة الزمنية التي عاشها المبدع أو ما يسبقها، مما كان مخاضًا لولادة نص شعري له مرجعياته من التاريخ والواقع، وله أيديولوجيته التي هي نتاج هذا التراكم الحجمي.

ويتعين السياق الثقافي – في بحثنا هذا – بالتاريخ العربي ماضيه وحاضره بالنسبة إلى زمن الشاعر، فإن امتد إلى الماضي بعصور المجد العربي والإسلامي تحديدًا، فإنه الحاضر هو الفترة الزمنية التي عاشها الشاعر، وعاصر أحداثها عامة، أو بزمن إنتاجية النص على وجه الخصوص. ويتحدد هذا الحاضر في إطار البعد التاريخي لقصائد العروبة بإشارات كرونولوجية لها مرتكزها من الأحداث السياسية التي شهدها العصر، فيتوزع على ثلاثة أحداث كبري :

**الأول: اضطراب الحكم العثماني في أواخر عهده بأثر سياسة التنظيم ومحاولات الاستبداد بالحكم،** وفي إطار هذه النقطة يندرج ما حاق بالدولة العثمانية من هزائم متلاحقة في حروبها الخارجية ، كذلك ما شهدته من ثورات داخلية، أفضت إلى سقوط الخلافة العثمانية على يد كمال أتاتورك في عام ١٩٢٤م[١] .

**الثاني :الحرب العالمية الأولى من ١٩١٤-١٩١٨م،** والدور الذي لعبته الدولة التركية فيها، حيث تضامنت مع ألمانيا والنمسا ضد روسيا وبريطانيا، ومارست العديد من الضغوط على المسلمين للانضمام إلى عسكرها تحت مسمى " الجهاد "، غير أن محاولاتها باءت بالفشل، واشتعلت في نفوس العرب في سوريا شعلة القومية والعروبة تحت لواء الإسلام. وعلى الصعيد الآخر كانت ثمة معارضة من قبل المسيحيين الشوام لفكرة القومية؛ مما أحدث انشقاقًا في الصف العربي، حيث طالب المسيحيون بولاية " فرنسا "على لبنان[٢]، وهو ما ندد به أبو الفضل في غير موضع، حيث أدان ولاء الطائفة المسيحية في سوريا ولبنان لعناصر الاحتلال في قصيدته المغربية :

**لا تحرجونا فكأسُ الغـيظِ طافحـةٌ  إنّـا لنقطـعُ بعـدَ الصـبرِ أسـبابا**

---

**(١) ينظر: إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان ، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ه-١٩٩٦م- ص٢١٤-٢٣٨.**

**(٢) ينظر: أحمد طربين: تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة بدمشق، الطبعة الأولى -١٤٠٦ه-١٩٨٦م، ص٤٦٥.**

لابدَّ من أَجـلٍ يـأتي علـى قـدرٍ مـا دامـت الأرضُ ميزانًـا ودولابـا
قبل التفاني على حقـدٍ وموجـدةٍ شدُّوا الرحالَ إلى البطريق والبابـا(١)

ويحذر الشاعر قومه من مغبة الطريق، وقد سلَّموا مقاليد الحكم لعلوج العجم ، وكان الأجدر بهم تلك اللحمة العربية تجمعهم أوصال الأمة :

فإلى الأجانـبِ سـلموا أحكـامَهمْ والأجـدَرونَ بهـا لهـمْ إبعـاد
ما كانَ أتعسَ أمّـةٍ تشـقى بهـمْ فيـؤمَّر السـجّانُ والجـلاَّد
العـودُ لا يحييـه غيـرُ لحائـهِ والملـكُ عنـهُ بالصـميمِ يُـذاد
لا حـقَّ إلا للأصـيلِ برتبـةٍ فـي دولـةٍ دخلاؤُهـا أنكـاد
إن المناصبَ فـي الـبلادِ لأهلِهـا فمِـن الأقـاربِ صـادقٌ وجَـواد
وعلى الأجانـبِ حُرّمـت لوقايـةٍ ورعايـةٍ حيـثُ الفـلاحُ يُـراد(٢)

فالشاعر يدفع قومه صارخًا مستصرخًا للتخلص من عار التبعية العمياء لقوى الغرب الكاذبة وعودها، ويتوزع خطابه بين الندبة للتحسر على ما حاق قومه من عار، ومحاولات إيقاظ عروبتهم وقوميتهم بحقائق مباشرة، من شأنها إثارة الوعي، وكشف الغشاوة التي أسدلها الغرب على أعين العرب، فنراه في أندلسيته يراوح بين أساليب الخطاب قاصدًا مبتغاه، وذلك في قوله :

وأطول لهفي علـى قـومٍ منـازلهُمْ تـأوي العلـوجَ ثقالًـا مسـتخفِّينا
قد كافحوا ما استطاعوا دون حرمتِها ثم استكانوا علـى ضـيم مطيعينـا
لا يملكون دفاعًـا فـي خصاصَـتِهمْ وينصـرونَ الفرنسـيسَ الملاعينـا
أعـداؤهم قطعـوا أوطـانهم إربًـا فأصبحوا مثـل أنعـامٍ مسـوقينا(٣)

(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المغربية " ، ص٧٩.
(٢) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " البغدادية "، ص١٠٤.
(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " الأندلسية "، ص١١١.

**أما الحدث الثالث؛ فهو الاحتلال الأوروبي للأرض العربية، وما كان من تقسيمها في أعقاب الحرب العالمية الأولى؛** فبموجب اتفاقية سايكس بيكون وضعت فرنسا أياديها على سوريا ولبنان تحت مسمى" الانتداب الفرنسي " كذلك فرضت بريطانيا سلطاتها على الأردن وفلسطين "[١] .

ولاشك أن هذا الحدث بتداعياته السياسية وأيديولوجياته الفكرية كان له النصيب الأعظم في قصائد العروبة كافة، نظرًا لكونه الأقرب معاصرة لعهد الشاعر وزمن كتابة قصائده. فارتكزت قصائد العروبة بشكل أساسي على كل ما يتصل بالتنديد بالمحتل الغاصب، وسياساته القمعية، وفضح مكائده، والتشهير بوعوده الكاذبة، فـ " المشرقية " مستهلها فضح مباشر لأكاذيب المحتل الأجنبي[٢]، وفي غير موضع فيها يندد بالمحتل كاشفًا تدليسه ومداهنته ومكره ونقضه العهد، وخلفه الوعد، فيقول:

**زَعِمْتُمْ أنّكمْ أعوانُ عدلٍ ... تُجيرونَ الضعيفَ من القوي**
**وفي أعمالِكمْ تكذيبُ قولٍ ... غدا كيّاً على الجرحِ الدمي**
**أتنصِفكُمْ ونحملُ كلَّ حيفٍ ... فنأتي بالهديةِ والهدي**
**ونَنصُركُمْ وأنتمْ من عُدانا ... فنؤخذُ بالخّديعةِ من دهي**
**ويومَ السلمِ تَنتَقِمونَ منا ... فهَلْ هذه مكافأةُ الوفي**
**فبالمرصادِ نحن لكم لنقوى ... ونُرغِمُ أنفَ مختالٍ عَتي(٣)**

---

(١) ينظر: إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص٢٢٣.

(٢) ينظر : قصيدته المشرقية ومستهلها :

لقد طال المطال على وعود ... بها تطلى مطامع أشعبي

(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "، ص٧٤.

والشاعر لا يبرح في قصائد العروبة الإلحاح على تسجيل جرائم الاحتلال ومجازره، وما عمد إليه من القتل والتدمير وهتك الأعراض، وغيرها من الجرائم المشينة، فيقول :

**شادوا القلاعَ وشدوا مــن مــدافِعِهِمْ مــا يمــلأ الأرضَ نبراسًــا لينفينــا**

**بعــد اعتــداءٍ وتــدمير ومجــزرةٍ قــالوا أمانًــا فكونــوا مســتكينينا**

**وكم يقولــون إنّــا ناصــبونَ لكــم ميزانَ عدلٍ ولــم توفــوا الموازينــا**

**تحكموا مثلمــا شــاءَتْ مطــامعهُم وصيروا بيننا التهويــلَ تهوينــا(١)**

**( ١ــ ٢ ) التوضُّع المعرفي لمبدع النص في ضوء الشرط الخارجي:**

كتب أبو الفضل الوليد قصائد العروبة في ديوانه الأخير الذي أصدره عام ١٩٢٠م، فكانت نواة الوعي فيها الظرف السياسي والاجتماعي في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية. وحينما جُمعت هذه القصائد في ديوانه" نفخات الصور"(*)، وعنوانه دال على حالة الوعي التي يشهدها الشرق العربي، فضلًا عن الحالة الشعورية للشاعر، والمتولدة عن خبره من أحداث عصره من ناحية، ومن مرجعيته الثقافية التي حددت كيفية تلقيه للأحداث وتمثلها والتعبير عنها. فاستنادًا إلى أن العنوان " نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول ، قصيدة " الأندلسية " ، ص١٠٩.**

**(*) طبع هذا الديوان للمرة الأولى في ريو دي جانيرو عــام ١٩٢٠م ، بعنــوان (القصــائد ) وخرجت طبعته الثانية بعنوان ( نفخات الصور) في بيروت عام ١٩٣٤م، وقد اســتُلَّ هــذا الديوان بمطولته (الرؤيا النبوية) كذلك استل منه السباعيات، وهي مقاطع شــعرية تتســم بالوطنية والحماسية، مرتبة على حروف الهجاء، ونشرت منفصلة ملحقًا لجريدة (المراقب) في بيروت عام ١٩٣٢م. ينظر: خالد كمال الطاهر: التيار الوطني في شــعر أبــي الفضــل الوليد (إلياس بن عبدالله طعمة )، القضايا والتحليل الفني، دار دجلة للنشر بالمملكة الأردنية الهاشمية ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٦م– ص٤٠.**

بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شفرته الرامزة"[١]؛ نرى أن رمزية" نفخات الصور" تحدد التوجه الدلالي" بزمن البعث" ، حيث جاءت كلماته كالنفخ في الصور لبعث الأمة من رقادها ، فالشاعر" تخيل أمته راقدة وهو رافائيل ينفخ في الصور ليبعث من في القبور"[٢].وقد ورد نص لأبي الفضل في صدر ديوانه يحمل هذا المعنى ويؤكده في قوله عن الديوان أنه "من نفحات علوية تنعش السماء بها الأرض"[٣].

وإن قصائد" المشرقية " و" المغربية " و"المكية " و" البغدادية " و"المقدسية " و" الأموية " و" الأندلسية " بين دفتي هذا الديوان بعث من نوع خاص؛ فكل منها صيحة لبعث الأمة العربية بعد مواتها، وهي في ذلك كله مخاض للحدث السياسي في عصرها، مفارقة له بما ترسخ في وعي الشاعر من المجد العربي وأصالة عروبتنا بدءًا من فجر الإسلام في مكة، فحضارة بني أمية، وحضارات بابل، ومصر والحضارة العربية في الأندلس، ففي كل هذه المطولات يتقاطع زمنان؛ الحاضر المعادل لزمن الهزائم، والماضي الحافل بأمجاده التاريخية منذ الفتح الإسلامي حتى عصر الحضارة العباسية.

**( ١ــ ٢ــ١ ) ثقافة أبي الفضل الوليد وأثرها في شعر العروبة :**

تثقف أبو الفضل الوليد منذ نعومة أظفاره بالثقافة العربية، فتلقي تعليمه الأولي في معهد الحكمة، ثم اختار دراسة الأدب سبيلاً ومنهجًا، وتوَّج عربيته بإشهار إسلامه، وكانت عروبته قومية ولغة وعقيدة مائزة له ولفنه الأدبي، مفخرة له على لسانه في غير موضع، فهو القائل" الحمد لله الذي شرفني بالعروبة والإسلام

---

**(١) بسام قطوش : سيمياء العنوان، طبع بوزارة الثقافة "عمـــان – الأردن " ، ٢٠٠٢م – ص ٣٣.**

**(٢) مارون عبود: جدد وقدماء (دراسات ونقد ومناقشات )، دار الثقافـــة للطباعـــة والنشـــر – بيروت –١٩٥٤م، ص ٢٣٧.**

**(٣) مارون عبود: جدد وقدماء، ص ٢٣٧.**

على الذين تشرفوا بها فشرفوها، وقد كان الأحياء والأموات شاهدين على أننا خلان ورفاق، وكفى بها رابطة للذين يشعرون ويعقلون "(١).

شغف أبو الفضل بالعرب وتاريخهم؛ فكانت رواياته المعربة عن التاريخ العربي" أسرار بغداد، ونكبة البرامكة، وأحمد وولاّدة" (٢). وإن سبر الشاعر أغوار التاريخ العربي منذ طفولته خطّ ملامح العربية محددةً واضحة على ما كتبه نثرًا وشعرًا، منذ بداياته بصدور جريدة " الحمراء " سنة ١٩١٣م، نسبة إلى قريته بلبنان وحمراء الأندلس، التي جمع بها أحاديث عشقه للعروبة جلها".. فمن أجل الحمراء أحب لبنان، ومن أجل لبنان أحب سورية ومن أجل سورية أحب كل أرض عربية"(٣).

---

(١) ينظر: أبو الفضل الوليد إلياس عبدالله طعمة، أحاديث المجد والوجد، طبع على نفقة المؤلف في بيروت ، الطبعة الثانية ،١٤٣٧هـ-١٩٢٩م، ص٤-٥.

(٢) ينظر: أبو الفضل بن الوليد: إلياس عبد الله طعمه، ديوان ( الجندي المجهول )، من ترجمة مقدمة ديوانه :ص ٦٩. ينظر كذلك كتب التراجم حول إلياس طعمة: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م،ج٢- ص ١٠. ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثني ودار إحياء التراث العربي، بيروت -( د.ت) ،ج٢-ص٣١٤. ينظر: جورج غريب: أبو الفضل الوليد ( إلياس عبدالله طعمة ) شاعر الحمراء، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ،١٩٧٣م. ينظر :أبو الفضل الوليد: شاعر العروبة في المهجر، علي الجمبلاطي، الدار القومية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣م .ينظر: وليد المشوّح: أبو الفضل الوليد الشاعر المضيَّع، منشورات مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ( د.ت ). ينظر: مارون عبود : جدد وقدماء (دراسات ونقد ومناقشات )، دار الثقافة للطباعة والنشر - بيروت -١٩٥٤م.

(٣) ينظر: جورج غريب: أبو الفضل الوليد ( إلياس عبدالله طعمة ) شاعر الحمراء، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ،١٩٧٣م. يراجع كذلك: أحاديث المجد والوجد- أبو الفضل الوليد إلياس عبدالله طعمة .

وتبدو صفحات التاريخ العربي أمجاده وويلاته ، انتصاراته وهزائمه في جل أعمال الشاعر، بدءًا بما عربه من روايات مقتبسة من تاريخ العرب " أسرار بغداد "و" نكبة البرامكة " و" أحمد وولّادة "(١). فقصيدته" المعلقة اللبنانية "التي نظمها في أربعة وخمسين ومائة بيت، ليخاطب مشاعر العربي في كل أرض، وتحقق له ما أراد حيث ذاع صيتها ونشرت في خمسة آلاف صحيفة (٢). كذلك قصائد العروبة السبع وفي كل منها صفحة من صفحات التاريخ العربي.

**ففي القصيدة " المشرقية "على سبيل المثال انعطاف تاريخي على تاريخ المشرق العربي**، وبخاصة مهد الإسلام، والوحي المحمدي، وآل البيت في سلسلة تاريخية ملحمية" قادرة على إحداث الأثر المعرفي النوعي في المنظومة الأناسية المعرفية للكتلة الاجتماعية" (٣)، وهو ما نراه في قوله:

**خليفتكُم حـوى الـدنيا فـأُزرت عمامتُـه بتـاجِ كسـروي**

**ورثـتم ملـكَ غسـانٍ ونصْـرٍ وحِمْيَـرَ ذي الجـلالِ التبّعـي**

**وقـد زدتـم عليـه ملـكَ دارا وقيصـرَ ثـم فرعـونَ الحمـي**

**ولم يـكُ مجـدُ ذي القـرنين إلا حقيـرًا عِنْـدَ مجـدٍ يَعربـي(٤)**

فالأبيات بها انتقالات بسبيل التشفير الدلالي إلى عهد النبوة وخضوع ملك كسرى للنبي المصطفي ﷺ، وما كان من بعده من زمن الفتوحات الممتد عن شرق

---

(١) ينظر: أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول ، ترجمة مقدمة ديوانه، ص ٦٩-٧١.

(٢) أبو الفضل الوليد: كتاب القضيتين في السياستين الشرقية والغربية، مطبعة دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٣٤م، مقدمة المؤلف، ص ١٠.

(٣) جمال الدين الخضور: قمصان الزمن " فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي" دراسة نقدية، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص٦٢.

(٤) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول ، قصيدة " المشرقية "، ص٧٦.

البلاد إلى مغربها، وهو في ذلك يستحضر أحداثًا تشكل ملحمة تاريخية لمجدٍ عربي وإسلامي له حضوره بذاكرة المشرق العربي تاريخه الإسلامي .

وفي سياقها وفي المنعطف نفسه يتوج التاريخ الإسلامي بالعروج إلى حادثة مقتل أبي طالب، قائلًا:

**ودونَ الملـــكِ والإســـلامِ موتـــوا على حـــق كســـيّدنا "علـــي"**

**وصونوا خيـــر ميـــراثٍ وســـيروا على الـــنهجِ القـــويم الراشـــدي**

**وبالأســـطولِ والجـــيشِ اســـتعزّوا لتحموا الملكَ من أمـــرٍ فـــري(١)**

كذلك في تقاطع دلالي مع آل بيت النبوة ، يأتي على ذكر "فاطمة الزهراء"ابنة رسول الله ﷺ في خطاب يبدو شيعيًا بما يوشيه من إشارات خاصة بالمعتقد مثل كلمة " السجود"، قائلًا :

**فقلـــت، وقـــد ســـجدت لهـــا : ســـلامٌ علـــى هـــذا الجـــلال الفـــاطمي**

**أيـــا بنـــتَ النبـــيّ رفعْـــتِ قـــدري بتقريبـــي إلـــى المـــلإ العلـــي**

**فهـــانَ علـــيَّ دون حمـــاكِ مـــوتى وهـــذا المـــوتُ فخْـــرُ العبقـــري**

**فنفســـي كلهـــا طـــربٌ وشـــوقٌ لرؤيـــا بـــين أنـــوار الحبـــيّ**

**أســـيّدة النســـاءِ وأنـــتِ أبهـــى من المريخ فـــي الفلـــكِ النقـــي**

**علـــى روحـــي افيضـــي النـــورَ حتـــى أرى فجـــرًا علـــى روضٍ نـــدي**

**لقـــد جـــرّدت مـــن شـــعري ســـيوفًا تـــذود عـــن الضـــريح اليثربـــي**

**وقـــد أشـــعلتُ بالفرقـــانِ لبـــي فهدي النارُ من صـــدري اللظـــي**

**فـــؤادي كـــربلاءُ هـــوًى وحربًـــا ولم يُنكـــر بـــلاء الشـــافعي (٢)**

فالشاعر هنا يعمد إلى شفرات متحركة في المخيال الجمعي العربي والإسلامي خاصة، فيأتي بإشارات البيت الفاطمي الذي يلتقي على محبته المسلمون

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "، ص٧٦.**

**(٢) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "، ص٧٧-٧٨.**

بطوائفهم من الشيعة والسنة، ثم يأتي بأسماء المواضع والمواقع التاريخية من مثل" الضريح اليثربي "، حيث قبر النبي ﷺ وموقعة كربلاء، وما كان من مقتل الحسن والحسين، كذا ذكر أئمة الإسلام وأصحاب المذاهب السنية بإشارة " الشافعي" وغير ذلك من الإشارات التي ينتظمها سياق تاريخي متعين بأزمنة وأمكنة ارتبطت بها حضورًا في ذاكرة العربي المسلم .

وقد يعمد الشاعر في تعيينه لزمن الأمجاد لإشارات كرونولوجية، يتحدد من خلالها السياق التاريخي زمنه وأحداثه وشخوصه، فأبو الفضل الوليد في بغداديته ينعطف إلى حيث المجد العربي والعزة العربية في عهد الرشيد :

**كم زحفةٍ زحـفَ الرشـيدُ بجيشِـهِ حتـى الخلـيجِ ودونَـه الإزبْـاد**

**فقـدتْ أرينـه بالهـدايا نَفْسَـها وبلادهـا ،وسِـلاحُها الإرفـاد**

**لمـا تمـرّدَ نيقفـورُ أذلـه ولجيشـهِ التبديـدُ لا الإبـداد**

**فُتحتْ هرقَلـةٌ والخـرابُ نصـيبُها وهي التـي اعتـزَّت بهـا الأضـداد**

**ولفتح عموريّـةِ اضـطرب الـورى والنـارُ فيهـا المعتـدونَ وقـاد**

**بغدادُ يـا ثكلـى الخلافـةِ رجّعـي نَوْحـاً لـهُ تتفتّـت الأكبـاد**

**فلعـلَّ ترجيـعَ النـواحِ وراءَه هُوْجُ الريـاحِ وبَعـدها الإرعـاد(١)**

فالشاعر هنا يعين الزمن الماضي ووقائعه التاريخية بمجموعة من الإشارات معلومة الدلالة، فيأتي بأسماء البلاد والشخوص والمواقع تحديدًا لزمن دون غيره، فأسماء" أرينة "، و" نيقفور" من ملوك الروم في عهد الرشيد، وفتح عمورية "وهي إحدى المعارك الكبرى التي دارت بين المسلمين والبيزنطيين،

(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول ، قصيدة " البغدادية "، ص١٠١.

وكانت في عهد المستعصم بالله الخليفة العباسي، وانتهت بحصار عمورية ثم سقوطها في يد المسلمين"(١).

وإن تعيين الشاعر للسياق التاريخي بتلك الوقائع البارزة لما كان من انتصار المسلمين على الروم، إنما هو من قبيل التقاطع الدلالي بين الزمنين الماضي والحاضر إظهارًا للمفارقة من ناحية، وأملاً في عودة صورة الماضي مسقطة على زمان حاضر استبد فيه علوج الروم من الأجانب واليهود، ومن ثم فالسياق التاريخي هنا بأحداثه ووقائعه موظف دلاليًا لتحديد الرؤية في الزمنين الحالي والمستقبلي .

**( ١ــ ٢ــ٢ ) البيئة السياسية ومحددات الرؤية في شعر العروبة :**

إن قصائد العروبة هي الأقرب تأثرًا بالسياق الثقافي في بعديه التاريخي والسياسي، كذلك ما يتمخض عنه من إيديولوجيات ومواضعات فكرية وشعورية، فإذا ما نظمت بقلم أبي الفضل الوليد وبحسه الوطني وعروبته النابضة؛ عايشنا في كل كلمة منها هموم الوطن والأمة العربية، فكانت سجلًا للحدث بأدق تفاصيله، ولا يخفى في ذلك قيمتها التاريخية وبعدها المعرفي، وإن كان الشاغل في درسنا تمثل الشاعر السياق أبعاده، وتعبيره عنه برؤية خاصة، هي رؤية الشاعر، أو لنقل رؤية العالم بعين الشاعر.

وإن ثمة كيفية تكاد تكون ثابتة في تقديم " المعرفة" و" الرؤية التي تظلها" التزمها أبو الفضل الوليد في مطولاته السبع، فإذا به يأتي على ذكر الحاضر ونكباته وهزائمه ليتوسط به بين الزمنين الماضي والمستقبل؛ وهو يؤكد بذلك

---

**(١) ينظر: ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي – ت ٧٧٤ ه)،البداية والنهاية ،طبع بمطبعة السعادة ، القاهرة ، ( د.ت )، ج١٠/ ٣١٤. ينظر: الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي) ت ٥٩٧ه، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٢ ه – ١٩٩٢ م، ج١١/ ٨٠. ينظر: الطبري ( أبو جعفر بن جرير الطبري : ٢٢٤-٣١٠هـ ) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر – الطبعة الرابعة ،ج٩/٥٧.**

إمكانية التحول المأمول ؛ فالحاضر مرهن بالماضي كون الأخير النموذج المؤمل في استعادته، كذلك وفي إطار استشراف المستقبل قابل للتغيير في حلم الغد .

من أمثلة ذلك إشارة الشاعر إلى حال راهن معينًا إياه بإشارة تاريخية، وهو سقوط الجزائر في أيدي الفرنسيين فيقول:

**هـــي الجزائـــرُ فـــي أيـــامِ نكبتِهـــا ... على الفرنسيسِ كـــان الليـــثُ وثّابـــا**

**ردحًا طويلًا بعبـــدِ القـــادر امتنعـــتْ ... إذ هـــبَّ يفتـــكُ الأعـــداءِ محرابـــا**

**لكـــن أمتَـــه مـــن بعـــدِهِ شـــقيتْ ... ونجمُها غابَ في البيداء مُـذْ غابـــا**

**فللفرنسيسِ دانـــت وهـــي صـــاغرةٌ ... تشـــكو إلـــى الله إرهاقـــاً وإرهابـــا**

**يا إخوتي هل نســـيتم أنكـــم عـــربٌ ... حتى رأيتم مِـــنَ الأعـــرابِ إغرابـــا**

**مـــا للتـــواريخِ لا تُـــذكي حميـــتَكم ... وقد غدا الـــذلُّ فـــي ضـــرّائكم دابـــا**

**عودوا إليهـــا تُعيـــدوا كـــلَّ مفخـــرةٍ ... ففي الرسومِ يقينٌ للـــذي ارتابـــا(١)**

فالشاعر في إشاريته إلى المقاومة الجزائرية في أبرز رموزها وهو" عبدالقادر الجزائري"(٢)؛ إنما يوظف هذا الحدث الماضوي بنائيًا للتشويش على ما في الحاضر من خزي وعار من ناحية، وليؤكد بطريق التعاقب إمكانية التحول بإعادة المجد السالف، فضلًا عن أن إيراد الحالين بشكل مفارق من شأنه إحداث هزة انفعالية من شأنها استثارة اللاوعي الجماعي بما يدفع إلى فعل التغيير .

والشاعر بينما عمد **إلى ترهين الماضي في الحاضر باستعادة الماضي** قصد إبراز المفارقة بين الحالين من ناحية، وتأكيدًا لإمكانية التحول من ناحية أخرى،

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المغربية "، ص٨٠.**

**(٢) الأمير عبد القادر الجزائري (١٢٢٣- ١٣٠٠ هـ / ١٨٠٨- ١٨٨٣ م) قائد المقاومة الشعبية في الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي ومؤسس الدولة الحديثة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبدالقادر الجزائري، مؤسسة سعود البابطين للطباعة والنشر، أغسطس ٢٠٠٠م.**

ينطلق منه إلى المستقبل، فيتوسط الزمن الحالي( زمن سقوط الجزائر في أيدي الفرنسيين) بين الماضي أمجاده، والمستقبل آماله، فيقول في نقطة يلتقي فيها الماضي بمؤشره الزمني" أيام" بالمستقبل بصيغته الاستشرافية من الجملة الأمرية :

**عودوا إليها تُعيدوا كلَّ مفخرةٍ ففي الرسومِ يقينٌ للذي ارتابا(١)**

كذلك يشير أبو الفضل الوليد إلى حاضره وما يعانيه من ألم استلاب القدس من قبل اليهود ومن يواليهم فيقول :

**يا قدس مكةُ قــد آســتكِ باكيــةً لما أتاها بنعي الدينِ مَنعــاك(٢)**

ويقاطع بين الحاضر والماضي دحضًا للمزاعم التي يطلقها اليهود، مؤكدًا ما بقولهم من بهتان، ومثبتًا كون القدس عربية قومية وعقيدة ، فيقول:

**فبالعروبةِ والإسلامِ أنتِ لنا واللهُ يسمعُ شكوانا وشكواك (٣)**

وينطلق من نقطة الحاضر المتوسطة إلى مستقبل يستشرفه عن أم العرب (مصر)؛ لما لها في ذلك الحين من سبق الريادة وفضل الرعاية؛ فهي القادرة على الذود عن أبنائها، قائلًا :

**بــــالله أيتُهـــا الأمُّ العـــروبُ خـــذي بالثأرِ شعباً لنصــرِ البطــلِ عــاداك**

**وطهري القدسَ من رجسٍ ومن دَنَــسٍ وأصــلتي ســيفَ ســفّاكٍ لســفّاك**

**ماذا تُرجّينَ مــن قــومٍ بــلا شــرفٍ ولا عهودٍ ومــنهمْ كــلُّ فتّــاك(٤)**

---

(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المغربية "، ص٨٠.

(٢) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المقدسية " ، ص٩٣.

(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة "المقدسية "، ص٩٣.

(٤) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المقدسية"، ص٩٣.

**٢ــ قصائد العروبة " النتاج البعدي وإعادة الإنتاجية" :**

إن الخطاب الشعري بعامة موصل طرفي العملية الشعرية، منتجها ومستقبلها بعضهما البعض، فــ" النص مفتوح، ينتجه القارئ في عملية مشاركة لا مجرد استهلاك، وهذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة " (١) .

وإذا كان الحديث عامًا فيما يتصل بالخطاب الشعري بمكونه القبلي ونتاجه البعدي، فإنه يتخذ بعدًا أكثر تحديدًا وخصوصية حال اتصال الخطاب بتراكم معرفي، تاريخي أو اجتماعي أو أسطوري، فإبستمولوجيا هذا الخطاب تصبغ عملية التلقي بطابع مائز نسبيًّا؛ إذ معها تكون عملية التلقي غير موقوفة على الدوافع التي تستثير المتلقي حدوده الذاتية، وإنما تحفز كذلك مجموعة من الدوافع المتعلقة بالسبب، ونعني به الشرط الثقافي المبني بشكل أساسي على تراكمات معرفية في ذهن المتلقي، واتجاهات نفسية في شعوره الواعي أو نصف الواعي أو اللاواعي كذلك .

ومن ثم فنص العروبة بوصفه خطابًا إبستمولوجيًّا في جانب منه؛ فإنه قادر على فتح قنوات الاتصال واسعة بين مبدعه ومتلقيه؛ نظرًا لما يتضمنه من إحالات لحظة تاريخية بعينها، يقصدها ويعينها مبدع النص، ولها في الوقت نفسه حيز من وعي المتلقي، فهي في نطاق مدركاته، ومن خلفياته المعرفية؛ ومن هنا يحدث الفهم لوجود قنوات اتصال بين العوامل والإحالات خاصة بمبدع النص، والمعرفة المسبقة للمتلقي(المرجعية)، وذلك في إطار الشرط التاريخي والاجتماع المنتوج فيه النص أو الموجه إلى المتلقي.

---

**(١) ينظر: صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، المغــرب ، بيروت – ٢٠٠٢ م ص ١٢٩.**

وجدير بالذكر أن تناول نصوص العروبة في زمن كتابتها، يختلف جل الاختلاف عن التعرُّض لها في غير زمنها، وهو المطلوب على الحقيقة، فالنص المشتمل على خبرات التاريخ والمواقف السياسية والظرف الاجتماعي حال تحوله من قيمة معرفية إلى كونه خطابًا؛ يعُاد بناؤه ليتوافق والشرط الثقافي الجديد في مرحلة تطور ما، وهو ما " يدرج العمل ضمن الاستمرار المتحرك للتجربة الأدبية، هناك حيث لا يكف الأفق عن التحول، وحيث يتم دائمًا الانتقال من التلقي الإيجابي من القراءة المحايدة إلى الفهم النقدي، من المعيار الجمالي المقرر إلى مجاوزته بإنتاج جديد" (١).

**ومن هنا تعرض الدراسة في هذا المبحث لأنواع القراءة ومستوياتها في قصائد العروبة ، اختلافها باختلاف متلقي النص نوعه وزمنه،** ومع ضرورة النظر إلى ممكنات النص نفسه، فلكل نص سلطته التي توجه بشكل أو بآخر قراءة ما. والنصوص ذات المرجعيات تختلف حتمًا عن النص المباشر، فالأولى تحفل بالإشارات والتلميحات والشفرات التي تسمح باتساع مساحة التأويل، ومن ثمَّ التعددية القرائية، بينما الأخرى نصوص مسطحة محددة مساحتها الدلالية يتعين لها نوع واحد من القراء، وقد تقتصر في مساحتها القرائية على زمن كتابتها .

**( ٢ــ ١ ) قصائد العروبة" أنواع القراءة وعملياتها ":**

للقراءة أنواع- بحسب تودروف- فمنها الإسقاطية والشارحة والشاعرية، فبينما لا تتعدى القراءة الإسقاطية حدود المؤلف ومجتمعه؛ تسمح الشاعرية بمواصلة مسيرة التلقي بين أجيال عدة، فهي- عبر مستويات التشفير- تنتج عددًا غير محدٍ من القراءات، حيث" تسعى إلى كشف ما هو في باطن النص، وتقرأ فيه أبعد مما هو فيه في لفظه الحاضر" (٢).

---

**(١) جمال الدين الخضور: قمصان الزمن" فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي"، ص١٧٤.**

**(٢)عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م ، ص ٧٨.**

وترتبط القراءتان الإسقاطية والشارحة بمتلقٍ مقصود وبشرط تاريخي اجتماعي يجمع مبدع النص بمتلقيه، وهو نوع متحقق في مستوى من مستويات قراءة قصائد العروبة، حيث تتوجه إلى القارئ العربي عصر الشاعر، ويعمد مبدعها على تحقيق الهدف المتمثل في" الصحوة العربية المأمولة"، ومن ثم تأتي المفارقات المستمرة القائم عليها نص العروبة ببنياته الجزئية والكلية بوصفها قاعدة إنتاجية الغرض منها عملية التنبيه للمستقبل بخلخلة مسلماته، وتحفيز عملية الوعي لديه، فضلًا على اشتغالها على المكون السيكولوجي في نفس العربي .

والملاحظ في قصائد العروبة توسلها **بالقراءة الإسقاطية والشارحة** بلوغًا مستوى آخر، هو القراءة الشاعرية، فبينما تحمل الأبيات إشارات مباشرة لأحداث تاريخية بعينها– مما يوهم بتقييد المساحة الدلالية للقارئ؛ لما يبدو بالنظرة العجلى من محدودية الحدث وممكناته الظاهرة ، غير أن تلك الأبيات ذاتها لا تلبث أن تنتقل بالمتلقي إلى آفاق أبعد، فعند البدء في فك رموزها تنفتح بالدلالات لتجاوز حدود الحدث إلى ما وراءه من القيمة المعرفية والوعي فضلًا عن الشعور المتولد .

وبقصائد العروبة القراءتان كلتاهما، فثمة أبيات تعتمد الإشارة المباشرة لحدث تاريخي بعينه معين بزمانه ومكانه، وغير متعدٍ في دلالته إلى غيرهما، ففي " المشرقية " إشارة إلى الحرب اليابانية الروسية ١٩٠٥م، قائلًا:

**هـــي اليابـــانُ تَطْلَـــعُ للمعـــالي ... بمطلَـــعِ رايـــةِ الشـــمسِ الســـني**

**لهـــا فـــي البحـــرِ أســـطولٌ يـــدلّي ... مراســـيَهُ كأشـــطانِ الركـــي**

**بوارِجُـــهُ علـــى الأمـــواجِ ترســـو ... قلاعًـــا فـــي الصـــبائحِ والعشـــي**

**وجَحْفَلُهـــا يضـــيقُ البـــرُّ عنـــهُ ... وفيـــهِ كـــلُّ مقـــدامٍ عـــدي**

**فيالِقُـــه ســـحائبُ فـــي حَشـــاها ... صـــواعقُ منـــذراتٌ بالـــدَّوي**

**مشـــي الأمـــراءُ والقـــوادُ فيـــه ... إلـــى تـــذليلِ جبّـــارٍ طغـــي**

**فلـــمْ يُبْقـــوا لـــه علمـــاً رفيعـــاً ولا حصـــناً منيعـــاً للرقـــي(١)**

ورغم أن الحادثة مؤطرة بسياق زمني تتكئ على إشارات صريحة توجه المتلقي، إلى ما كان من قيام الحرب بين اليابان وروسيا، فإن هذه الحرب غير مقصودة لذاتها، لكن ما يجاورها من دلالات، فقد اتخذت اليابان حركة الحرب على روسيا بتأييد من الرأي العام الياباني، وطرح خيار المفاوضات، حيث أدرك أنه لا حل لاسترداد الأرض وحفظ الكرامة سوى القوة العسكرية(٢)، ومن هنا فالمتلقي العربي في حيز الاستقبال أثناء قيامه بعمليات معرفية لتفسير الحدث؛ ينفتح أفقه بقوة تأثير الواقعة معرفيًا ونفسيًا إلى ما هو أبعد منها، فيتجاوز الحدث إلى دلالاته، حيث يستحضر الحادثة ويعيد بناءها من جديد عن طريق عملية التمثُّل، ومن ثم فالخطاب الشعري يخاطب متلقيًّا مقصودًا بطرح المثال لما ينبغي أن يحدث في سياقه/ الشرق العربي، ويحمل كذلك رؤيته، وهي أن القوة العسكرية السبيل الأوحد لاسترداد الكرامة العربية :

**فهبَّ الشَّـــرقُ بعـــد خمـــولِ دهـــرٍ لصـــرخةِ ذلـــك الشـــعبِ النخـــي**

**وحـــارَ الغـــربُ فـــي نصـــرٍ مبـــينٍ على الجـــيش اللّهـــامِ القيصـــري**

**وبـــاتَ الـــرومُ فـــي قلـــقٍ ورُعـــبٍ لترجيـــع الصـــدى صـــوتَ النعـــي**

**ولـــولا بأسُـــه دخلـــوا حمـــاهُ وقد جار البغـــيُّ علـــى التقـــي(٣)**

ومن ثم ففي الأبيات السابقة **مرت عملية القراءة بمرحلتين، الأولى:** مرحلة القراءة الإسقاطية بعمليات التنبيه ثم الاستقبال، حيث التنبيه باستثارة ذاكرة المتلقي بإشارة صريحة عاد من خلالها إلى مجموعة معلومات تعريفية بالحادثة، ثم

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة" المشرقية"، ص٧٤-٧٥.**

**(٢) ينظر: حبيب البدوي، تاريخ اليابان السياسي بين الحربين العالميتين، دار النهضة العربية ، بيروت -٢٠١٤م.**

**(٣) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " المشرقية "،ص٧٤-٧٥.**

الاستقبال بعملية تقليب نفسية ومعرفية في محاولة ربط السياق الخاص بالسياق الأشد خصوصية بالنسبة له، حيث إنه يخاطب هنا وبوصفه متلقيًّا عربيًّا مقصودًا، يشهد شرطًا تاريخيًا مماثلًا، فهو مؤهل لانفتاح الدلالة بعملية التمثيل، التي" تحدث **تحت تأثير الزمن الثقافي والاجتماعي، وتتم فيها المعالجة المعرفية للأثر عبر** عناصر تأسيس ترتكز على بنى مختزنة لعمليات بيان وأثر وعناصر معرفية سابقة"(١).

**( ٢ــ ٢ ) قصائد العروبة " النص الأحادي والنص المتعدد ومستويات التلقي ":**

في إطار ما وقفنا عليه من تجاوز نصوص العروبة للقراءتين الإسقاطية والشارحة إلى الشاعرية، فثمة نوعان من أنواع التلقي ومستوياته أكثر ارتباطًا بالنص رسالته الظاهرة أو دلالته الباطنة، **الأول : قراءة النص في مستوى التلقي الوثائقي** ويقصد به" قراءة النص بوصفه مرجعًا اجتماعيًا أو نفسيًا أو دينيًا لأفكار الكاتب وميوله، إنه سجل يدون فيه أو مرآة يعكس عليها بشكل ظاهر أو خفي– في المنطوق كما في المفهوم– كل شؤون حياته وقضاياه الخاصة والعامة، والقارئ / المتلقي إذ يقرأ ما كتبه وفق هذه المرجعية يحاول أن يميط اللثام عن صاحب النص أكثر من النص ذاته، فالنص نفسه لا يعنيه في شيء، وإنما الذي يعنيه الإنسان القابع خلفه، المنتج والخالق ، كما تعنيه الرسالة المتضمنة في النص، وينطلق في هذا الكشف عن الرسالة والمرسل من مقولات أيديولوجية محددة أو أطروحات تحكمه وتحكم في نطاقها صاحبه"(٢).

ومن ثمَّ فهذا النوع تتجه فيه القراءة صوب المبدع أكثر منه صوب النص ، فالقارئ يتفاعل مع العناصر الموضوعية في النص كما قدمها له مبدعه ووفقًا لرؤيته وقصديته المباشرة منها، وتفاعل المتلقي هنا يكون بقدر ما تمليه عليه المنظومة الكلية التي تجمعه والمبدع في سياق واحد، كذلك التراكم المعرفي هنا

---

**(١) جمال الدين الخضور: قمصان الزمن، ص٧٠-٧١.**

**(٢) نعيم اليافي:الشعر والتلقي( دراسات في الرؤى والمكونات )، دار الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا – دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م ، ص ٣١.**

ليس ناتجًا من ربط القارئ المعرفة السابقة بالحالية وتمثله إياها توظيفًا، بل هو ناتج من علاقة تشاركية بينه وبين مؤلفه من ناحية، وبينهما السياق الموضوعي المحدد قصدًا من المبدع كذلك .

والتلقي الوثائقي يكون لنصوص لها بعد تاريخي، وتقدَّم في إطار من التشفير لممكنات الحاضر، فالسياق الثقافي تاريخي أو مجتمعي مشفَّر دلاليًّا بإشارات كرونولوجية ترتبط في ذاكرة المتلقي بحدث بعينه، لا بسياق عام ويغلب أن يكون معاصرًا للمتلقي، أي في سياقه الثقافي، ومرتبط بالعناصر الموضوعية المحيطة، ومعنيًا بإشارة حديثة محددة.

فالشاعر في قصيدته الأموية حينما يؤطر الحدث بزمن مولده؛ إنما يقصد إلى مشاركة مستقبِل النص له في حمل الهم العربي الذي يشهده في أيامه، فقوله نبض ذات جماعية واحدة تجتمع على أوضاع ثقافية معلومة، فالمشهد واحد، والإشارة إليه من قبل المبدع صريحة :

**ما كان أتعس مولدي متأخرًا لأكونَ شاعرَ نكبةٍ وطلول**

**خلفي وقدامي بلاقعُ أرْبُعٍ وحطامُ عرشِ خلافةٍ مثلول**

**وخرائبُ اندثرتْ وما فيها سِوى حدٍّ قليلٍ أو دمٍ مطلول**

**لكنني في الضعفِ أطلبُ قوَّةً وأعيشُ بالتذكيرِ والتعليل**

**زَخْرَفتُ حلمَ شبيبةٍ عربيةٍ ورفعتُ مشعالاً لكل ضليل**

**فكأنني نباشُ مقبرةٍ بهِ طربٌ لرنةِ مِعولٍ وعويل(١)**

ونلحظ أن هذا المستوى من التلقي لا يحيل إلى مرجعيات، أو يتضمن إشارات إلى حدث بعينه ، قدر ما يحمل القصد إلى وضع ثقافي، وشرط تاريخي

(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " الأموية "، ص٩٨.

معاش بكل ما يحمله من أحداث لا يعين الشاعر كل منها على حدة، وإنما يتشارك السياق العام، ومن أمثلة ذلك قوله في البغدادية :

**واحســـرتاه علـــى زمـــانٍ كلُّـــهُ شرفٌ وعزٌّ حيـــثُ تُلفَـــظُ ضـــاد**

**العربُ بعـــدَ جهـــادِهِمْ وجلادِهْـــم ألفوا الخمولَ فمـــا أفـــادَ جهـــاد**

**أجدادهُم هَرقـــوا علـــى ميـــراثِهِمْ أزكي دمٍ حيثُ الحيـــاةُ جـــلاد (١)**

وكذلك قوله في الأندلسية :

**كنا الملوكَ وكـــان الكـــونُ مملكـــة فكيفَ صـــرنا المماليـــكَ المســـاكينا**

**وفي رقاب العدى انفلّتْ صـــوارمُنا واليومَ قد نزعـــوا منـــا الســـكاكينا**

**ليستْ بسالتنُا فـــي الحـــربِ نافعـــةً ومـــن بـــراقيلهمْ نلقـــى طواحينـــا**

**واشـــتد عســـكرنا يحمـــي منازلنـــا وارتدَّ أسطولنُا يحمي شـــواطِينا(٢)**

**أما النوع الآخر من أنواع التلقي القائم على القراءة الشاعرية**، فهو أوسع مدى من التلقي الوثائقي، يعتمد– مِثل سابقه – الرمز والتشفير والتكثيف الدلالي والحدثي، غير أنه متجاوز لمبدعه وزمنه، مرتهن بزمن قراءته على تغايره قربًا أو بعدًا من الحدث المتزامن مع إنتاجيته. وهذا المستوى بما ينتجه من تعدد القراءات للنص الواحد واختلافها باختلاف الأجيال وتعاقبها يوسّع مساحة التأويل التي لا يلتزم فيها وصفًا واحدًا، بل أوصاف متعددة بتعدد القراء عبر الزمان.

ويجدر بالذكر أن هذا المستوى من التلقي، ولنسمه **(التلقي المتعدد)** هو تناول أكثر رحابه للنص نفسه الذي مورس عليه التلقي الوثائقي، فالنص القائم على شفرات دلالية موجه لمتلق مقصود في عصر إنتاجيته، وموجه كذلك لقارئ مجرد في زمن غير زمنه، وفي الحالين يعمل القارئ على فك شفرة النص وفقًا لما

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " البغدادية"، ص١٠١.**

**(٢) أبو الفضل بن الوليد ديوان الجندي المجهول، قصيدة " الأندلسية"، ص١٠٩.**

يستحضره بالوعي من تقاطعات حدثية في عصره أو ما يسبقه من عصور، وليس بالضرورة أن تنحصر في زمن الإنتاجية .

ومن ثمَّ فحينما يسمع القارئ المعاصر في زماننا قول أبي الفضل الوليد :

**الملكُ أصبحَ دَعْوى في طوائفِهِمْ واستمسكوا بعرى اللّذاتِ غاوينا**

**وكلُّ طائفةٍ قد بايعتْ ملكًا لم يُلفِ من غارةِ الإسبانِ تحصينا**

**وهكذا يفقدُ السلطانُ هيبتَهُ إن أكثَر القومُ بالفوضى السلاطينا**

**والرأيُ والبأسُ عندَ الناسِ ما ائتلفوا لكن إذا اختلفوا صاروا مجانينا**

**تقلّصَ الظلُّ عن جناتِ أندلسٍ وحطَّمَ السيفُ ملكَ المستنيمينا**

**فما المنازلُ بالباقينَ آهلةٌ ولا المساجدُ فيها للمصلّينا(١)**

فبالرغم من أن إشارة الأبيات لما كان في الماضي من سقوط الأندلس نتيجة لتفرّقُ حكامها، وانشغالهم بحروبهم وبعضهم البعض، وما أصاب البلاد من جراء ذلك من الفوضى والاضطراب؛ فإن المعنى يتداعى على ذهن كل عربي الآن؛ لما ينعقد بين حال بلاده وسقوط الأندلس للأسباب السابقة من تشابه، فانفتاح الدلالة هنا على ما يسود بلاد العرب في حاضرنا من الانقسامات داخلية في سوريا والعراق ولبنان؛ مما تسبب في حال من الضعف والوهن أغرت العدو الأجنبي، فإذا هو متربص يفلت يده عن تلك ليقبض على أختها، والنص في هذا مكتنز بالدلالات مفتوح على القراء في كل عصر، فكل قارئ" قادر بفضل لانهائية التخيل أن ينسب إلى النص مضامين متغايرة بحسب نوع الشكل المطلوب حله" (٢).

---

**(١) أبو الفضل بن الوليد: ديوان الجندي المجهول، قصيدة " الأندلسية "، ص١٠٨.**

**(٢) فولفانج إيزر: فعل القراءة( نظرية الواقع الجمالي)، ترجمة: أحمد المديني، مجلة آفاق المغربية، العدد السادس، ١٩٨٧م، ص ٢٨-٢٩.**

## نتائج الدراسة وتوصياتها

١) إن تحديد السمات اللغوية لقصائد العروبة أوقفنا على مجموعة من التشاكلات الدلالية من شأنها أن تحدد بعض ملامح القصائد المرتكزة على السياقات التاريخية والأزمنة الثقافية، ومن بينها الشعر الملحمي والسياسي والوطني. وأبرز هذه الملامح أن التاريخانية في قصائد العروبة استوعبت الأزمنة قصد إحداث المفارقة بين الماضي والحاضر من جهة ومناشدة المأمول من جهة أخرى.

٢) أوضحت الدراسة الوظيفة الإنجازية في قصائد العروبة؛ حيث كانت كفاءة الاتصال هدفًا منشودًا في قصائد العروبة بمنحاها التداولي، وتفترض الدراسة مشاركة الوطنيات والاجتماعيات فيما توصلنا إليه من آليات تشكيل الخطاب ووظائفه.

٣) توصي الدراسة بدراسة قصائد العروبة – وما يشابهها اعتمادًا على السياقات التاريخية والاجتماعية دراسة أجيال استنادًا إلى ما وقفنا عليه من التعددية القرائية ومستويات المعنى المختلفة باختلاف المعطى التاريخي في كل زمن فضلًا على مستوى الوعي.

# قائمة المصادر والمراجع


١) ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي – ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، طبع بمطبعة السعادة، القاهرة، ( د.ت ).

٢) أبو الفضل بن الوليد: إلياس عبد الله طعمه، ديوان(الجندي المجهول)، راجعه: جورج مصرعه، دار الثقافة العربية – لبنان– بيروت،( د. ت) .

٣) أبو الفضل الوليد إلياس عبدالله طعمة: أحاديث المجد والوجد، طبع على نفقة المؤلف في بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٣٧هـ–١٩٢٩م.

٤) أبو الفضل الوليد: كتاب القضيتين في السياستين الشرقية والغربية، مطبعة دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٣٤م.

٥) أحمد طربين: تاريخ المشرق العربي المعاصر، المطبعة الجديدة بدمشق ، الطبعة الأولى –١٤٠٦ه–١٩٨٦م.

٦) أحمد هلال محمد بني عيسى: صورة الغرب في شعر أبي الفضل الوليد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن ، ٢٠٠٨م.

٧) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ه–١٩٩٦م.

٨) بسام قطوس: سيمياء العنوان، طبع بوزارة الثقافة "عمان– الأردن" ٢٠٠٢م .

٩) تون أ. فان دايك: علم النص "مدخل متداخل الاختصاصات"، ترجمة د: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، الطبعة الأولى –٢٠٠١م.

١٠) جمال الدين الخضور: قمصان الزمن" فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي" دراسة نقدية، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.

١١) جورج غريب: أبو الفضل الوليد( إلياس عبدالله طعمة )شاعر الحمراء، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ،١٩٧٣م.

١٢) الجوزي(جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي) ت ٥٩٧هـ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى- ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٣) جوزيف كروتيس: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية ، ترجمة: د. جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف- الجزائر- الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م .

١٤) حبيب البدوي: تاريخ اليابان السياسي بين الحربين العالميتين، دار النهضة العربية ، بيروت-٢٠١٤م.

١٥) خالد كمال الطاهر: التيار التيار الوطني في شعر أبي الفضل الوليد (إلياس بن عبدالله طعمة )، القضايا والتحليل الفني، دار دجلة للنشر بالمملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى،٢٠١٦م.

١٦) الخطيب القزويني( محمد بن عبد الرحمن القز يني الخطيب )- التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، القاهرة، دار الفكر العربي .

١٧) رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م .

١٨) روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، الطبعة الأولى، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٩) روبير بلانشيه :نظرية المعرفة العلمية( الإبستمولوجيا)، ترجمة:د: حسن عبدالحميد ، مطبوعات جامعة الكويت،١٩٨٦م

٢٠) الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٢١) سعيد حسن بحيري: علم لغة النص" المفاهيم والاتجاهات"، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى-١٩٩٧م.

٢٢) السكاكي( يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب –ت ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم: ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٢٣) سيبويه( أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر بن سيبويه – ١٨٠هـ )– الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٢م .

٢٤) السيوطي( عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ )،همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية، عُني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني، مصر، مطبعة السعادة للطباعة والنشر، ١٣٢٧هـ – ١٩٠٩م.

٢٥) الصبّان( محمد بن على الشافعي ):حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك، ضبطه وصححه: إبراهيم شمس الدين، بيروت– دار الكتب العلمية–١٩٩٧م .

٢٦) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،١٩٩٦ م .

٢٧) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار إفريقيا الشرق للطباعة والنشر، المغرب – بيروت– ٢٠٠٢ م .

٢٨) الطبري(أبو جعفر بن جرير الطبري: ٢٢٤–٣١٠هـ ) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر – الطبعة الرابعة .

٢٩) عادل السكري ، نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة ، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م.

٣٠) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للطباعة والنشر، تونس ، ١٩٨٦م .

٣١) عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م .
٣٢) علي الجمبلاطي: أبو الفضل الوليد" شاعر العروبة في المهجر"، الدار القومية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٣م .
٣٣) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثني ودار إحياء التراث العربي ، بيروت –( د.ت ) .
٣٤) فان دايك:النص والسياق" استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب .
٣٥) فولفانج إيزر: فعل القراءة( نظرية الواقع الجمالي )، ترجمة: أحمد المديني، مجلة آفاق المغربية، العدد السادس، ١٩٨٧م .
٣٦) لالاند،أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية – ترجمة : خليل أحمد خليل ،منشورات عويدات للنشر والطباعة" بيروت – باريس" ، الطبعة الثانية، ١٤٢١ه، ٢٠٠١م.
٣٧) مارون عبود: جدد وقدماء (دراسات ونقد ومناقشات )، دار الثقافة للطباعة والنشر – بيروت –١٩٥٤م.
٣٨) مالك يوسف المطلبي: الزمن واللغة، الهيئة العامة للكتاب للطباعة والنشر، ١٩٨٦م .
٣٩) محمد حماسة عبداللطيف: النحو والدلالة" مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي"، دار غريب للطباعة والنشر– القاهرة،٢٠٠٦م .
٤٠) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري( استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة ،١٩٩٢م .
٤١) مدحت الجيار: السرد الروائي العربي" قراءة في نصوص دالة "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م .
٤٢) ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبدالقادر الجزائري، مؤسسة سعود

البابطين للطباعة والنشر، أغسطس ٢٠٠٠م.

٤٣) نعيم اليافي: الشعر والتلقي( دراسات في الرؤى والمكونات )، دار الأوائل للنشر والتوزيع – سوريا – دمشق، الطبعة الأولى – ٢٠٠٠م .

٤٤) وليد المشوّح: أبو الفضل الوليد الشاعر المضيَّع، منشورات مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ( د.ت ) .

# فهرس المحتويات


| م | الموضــوع | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- | ملخص | ١٤١٢ |
| ٢- | Abstract | ١٤١٣ |
| ٣- | الإطار النظري للدراسة: | ١٤١٤ |
| ٤- | المبحث الأول: محددات البنية العليا لقصائد العروبة | ١٤١٩ |
| ٥- | المبحث الثاني : تداولية الخطاب في قصائد العروبة | ١٤٣٥ |
| ٦- | نتائج الدراسة وتوصياتها | ١٤٥٦ |
| ٧- | قائمة المصادر والمراجع | ١٤٥٧ |
| ٨- | فهرس المحتويات | ١٤٦٢ |